شرح اسم

الوكيل الكفيل

سبحانه وتعالى

أ. أناهيـــد بنت عيد السميري

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهرلكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهرلكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفرالله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبهِ أجمعين.

كما تعلمون أن أسماء الله -عزَّ وجلَّ- كلها لها علاقة ببعضها، وكلها تملأ في نَفسِ الإنسان ثغرات متَّصلة بِبَعضها، وقد عَرّف الله-عزَّ وجلَّ- نفسه إلى عبادهِ من أجل أن تستقيم حياتهم، ويفهموا المُراد مِن توالي الأيام والمواقف والأحداث عليهم، وأيضًا عرفهم بأنفسهم، فإذا أردت أن تبني حياتك على الصواب كي لا تعيش عمرًا طويلا متخبطًا في متاهات التفكير والتعاملات مع مواقف الحياة؛ فعليك أن تأخذ وصف نفسك من الذي خلقها، كما تأخذ وصف أي شيء من صانعه لتعرف كيفية استعماله.

انظر معي إلى وصفنا من كتاب خالقنا وربنا الذي –من رحمته- بين لنا كل ما نحتاجه، ولم يتركنا حيارى نستجدي المعرفة من عقول ونظريات البشر الضعفاء:

قال تعالى في سورة النساء: {وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا}[1].[2]

كل الناس بلا استثناء خلقوا ضعافًا، وضعفهم لا يقتصر على جهة واحدة، قال ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر بعض أقوال السلف في تفسيرهذه الآية:

"والصواب أَن ضعفه يعم هذا كله، وضعفه أَعظم من هذا وأَكثر: فَإنه ضعيف البنية، ضعيف القوة، ضعيف الإرادة، ضعيف العلم، ضعيف الصبر، والآفات إليه مع هذا الضعف أَسرع من السيل في الحدور"[3]، وعلى هذا؛ فلا تغُرّك الصورة التي يعتبرها الناس مثالية وهي صورة القوة؛ فقد وُصِفت بأنّ أصل حالك الضعف، حتى على الطاعة أنت ضعيف، وإذا كان وصفك الضعف وتريد أن تَقوَى وتُحقق مُرادك؛ فماذا عليك أن تفعل؟

---

(١) [النساء: ٢٨]

(٢) وقال تعالى في أول سورة الإنسان: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا}، نعم أتى، لقد مرَّ علينا دهرٌ طويل لم نكن فيه بشيء، وسيمرّ على العالم دهر طويل ونحن لسنا فيه، ولن يتأثر شيء من نظام العالم بذلك.

(٣) انتهى من طريق الهجرتين (٢٢٨/١).

عليك أن تستعين بالقوي؛ فالله سبحانه حين خلقك ضعيفًا من كل وجه؛ لم يجعل اختبارك في قوتك - كيف وهو أعلم بمن خلق وهو أرحم الراحمين- إنما جعل سبحانه اختبارك في قوة استعانتك به[1].

وقد ذَكَرْنا في قواعد بناء النفس أن القاعدة الأولى التي تعتبر من أهم القواعد في التعامل مع الحياة هي:

(ابتلاؤك في الحياة ليس اختبارًا لقوتك الذَّاتية؛ إنما هو اختبار لقوة استعانتك)، من أجل ذلك عندما أُمِرت بالاستقامة في {إِيَّاكَ نَعبد}، لم تُؤمر بأن تستعمل قوتك، بل أمرت بالاستعانة: { وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، و لابد أن تعلم هنا أنه على أساس هذه القاعدة ستختلف نظرتنا للحياة وتعاملاتنا مع أحداثها، أي أنك لو فهمت أن ممارستك للحياة عبارة عن اختبار لقوتك الذاتية؛ سيجعلك هذا تصارع في الحياة بنفسك، ستظن أن عليك تدبير نفسك بنفسك؛ أما إن فهمت حقيقة ضعفك و أن قوتك تأتي من قوة استعانتك بالله؛ فسيطمئن قلبك، ويقوى في مواقف الحياة.

وهبك الله مواهب وطبائع في نفسك، وصفات خاصة؛ لكن لا تستطيع الانتفاع بها إلا بِعَونٍ منه، فعليك أن تستعين بالقَوِي، والحديث صريح: ((يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ))[2]. فهذه هي الصورة الحقيقية التي يجب أن تنكشف لك، لكن الناس مختلفون في إدراكهم لهذه الحقيقة؛ فهناك شخص يَلتقط لنفسهِ صورة خارجية توهمه بأنه قَوي، ويقوم بتمثيل هذا الدّور، وهناك شخص يكتشف حقيقة ضعفه؛ لكن يبقى عليه أن يعرف مصدر قوته، وهناك شخص يعرف أنه ضعيف ويعرف مصدر قوته.

دورك في الحياة هو الاستعانة، وهُنا اختبارك: بأن تستعين وتتخذ الله وكيلًا، هذا هو المطلوب منك وهذا هو الاختبار، وليس كل الناس تنجح في هذ الاختبار؛ فهناك أناس لم يتخذوا الله وكيلًا،

---

(١) وهذا يوافق مراده من خلقك؛ فقد خلقك على صورة تظهر صفاته سبحانه، وهذا شرف لك.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، ٢٥٧٧.

فَصَرَّفهُم ودَبّرهم- فهم في الحقيقة لم يُدبّروا أنفسهم- لكنهم عاشوا الحياة بطولها على أبصارهم غشاوة، متصورين أنهم هُم الذين يدَبِّرون أنفسهم، و هناك أناس كشف ربي عنهم هذه الغُمَّة {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا}[1] فهذا الذي في الظلمات دائمًا يَصف نفسه بالذكاء والفهم، والذي أراه الله النور يفهم أنه لولا تدارك الله له بالرحمة واللطف لما انكشف له الخبيث من الطيب[2].

إذا كان ابتلاؤنا في الحياة هو اختبار لقوة استعانتنا بالله؛ فلماذا لا نستعين به؟!

الجواب: لِضَعفِ معرفتنا به سبحانه؛ فبعد أن يمتلئ القلب بأن وصف الإنسان ضعيف يحتاج أن يمتلئ بمعرفة أخرى غاية في الأهمية، وهو في أمس الحاجة إليها؛ كي يستقيم صغير أموره وكبيرها ألا وهي: **معرفة الله** الذي خلقه وأوجده لأجل أن يعرفه؛ فيعبده ، وقد جعل روحه وريحانه في ذلك، وإلا فلا ينتظر إلا معيشة الضنك النفسي مهما توافرت له أسباب السعادة الدنيوية، وهذا يشهد له السمع والعقل والواقع، وينطق به كل منصف من أهل المشرق والمغرب.

ما علاقة معرفتنا به سبحانه بقوة الاستعانة ؟

---

(١) [الأنعام: ١٢٢].

(٢) قد يقال هنا: نحن نرى أقوامًا لا يطلبون من الله ومع ذلك أمورهم حسنة؟!

نقول في الجواب على هذا ما قال ربنا تعالى: {يا أيها الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} يعني أنّ الله مِن أسمائه الحليم، الكريم، الرحمن، فهو يُعامِل عباده برحمته وبكرمه وبلطفه إلى أن ينتهي الاختبار، والاختبار ينتهي لحظة قبض الرُّوح، فطوال فترة عيشك في الدنيا أنت تُعطَى مِن أَجل أن تَرجِع إلى بابه، تُعطى مِن أجل أن تُصلِح حياتك، من أجل أن لا تأتي اللحظة التي تقول فيها: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} فأنت تعيش بعون مِن الله، في رحمة الله، حتى مشاعرك وأحاسيسك هذه ما هي إلا مِن رحمة الله، انظر كيف لان النبي – صلى الله عليه وسلم– للنَّاس؟ يقول الله–عزَّ وجلَّ–: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ} يعني مِن رحمة الله لنت لهم، هكذا فلتنظر إلى صفاتك؛ فإن وجدت نفسك لينًا مع الناس؛ فاعلم أن هذا اللين هبة من الله؛ لأنه هو معطي الصفات الشخصية، وانظر لنفسك كيف تتصرف في بعض المواقف بعكس طباعك؛ لتستدل من ذلك على أن طبيعتك التي خلقت عليها قد تأتيها لحظات تنقلب عليك رأسًا على عقب؛ فلا تتصور أن طبيعتك الشخصية ملكك؛ بل الله هو الذي أعطى، وهو الذي ييسر لك استعمالها فيما ينفعك.

الجواب: ضعف المعرفة يُوَلِّد ضَعف الثِّقة، انظر إلى هذا المثال: حين تحتاج الذهاب إلى طبيب وقلبك خائف من مرضك، ثم يذكر لك أوصاف طبيب ماهر خبير متقن، قد قام بمثل عمليتك عشرات المرات ونجح؛ كيف ستذهب إليه؟ لاشك أنك ستذهب إليه بقلب مملوء بالثقة والطمأنينة .

من أين أتتك هذه الثقة به؟ من المعرفة التفصيلية عنه.

هذا بالتحديد ما تحتاج أن تعرفه عن الله بعد أن عرفت ضعفك وحاجتك الملحة إليه.

حين تظفر بهذه المعرفة تختصر على نفسك الكثير من الشقاء، لأن الجهل بالله هو الذي سَبَّبَ لنا ضعف التعلق به ليحمل عنا ما يثقل كواهلنا، وينقض ظهورنا من الأثقال والهموم الدينية والدنيوية؛ بل حتى إصلاح أنفسنا وتزكيتها لا نحتاج فيه لو عرفنا الله إلى كبير مشقة؛ وإنما هو جهاد قليل مع استعانة كثيرة؛ وإذ بالغمة تنكشف، وبالهم يزول، وبمرض القلب يتعافى ويخلو مكانه للانشراح.

الجهل بالله جعلنا نشعر بأنه يُمكن لنا أن ندَبِّر أنفسنا أحسن مِن تدبير الله، يعني بَدلًا من أن نحْمِل كل هُمومنا ونضَعها عِندَ بَابِ الله، نشعر أنه لابد أن نقوم بتدبير شأننا بأنفسنا، وبعد ذلك نقنع أنَفسنا بقول: الله أمرنا بالأخذ بالأسباب!

هل يعني هذا أن لا نأخذ بالأسباب؟

الجواب على هذا من شقين:

١- نحن نعلم أن الكون خلق على مبدأ التَّسبب، وأنه لا يوجد شيء إلا وله سبب، ولكن يغيب عنا أن الأسباب ملك لله؛ فالله هو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الذي يسبق الأسباب وليست هي تسبقه، الأسباب من عطاء الله، انظر إلى قوله تعالى: {أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}[1] تعرف حقيقة المسألة؛ فالبذرة والماء والحوْل والقوة التي عندك، كلها مِن عند الله، ثم الله فَالق الحَّب

(١) [الواقعة: ٦٤]

والنَّوى، ومُخرِج الثَّمرات، ولهذا؛ إن كنا نأخذ بالأسباب كما ينبغي سنرى أن هذا الأخذ هو قلب الاستعانة، لأننا بالتأكيد سنطلب الأسباب من مالكها وهو الله تعالى، فنتوجه إليه أولًا أن:

١. يُهيئ لنا الأسباب.

٢. ينفعنا بالأسباب.

٣. يُعطينا نتائج الأسباب.

وهذه هي الاستعانة، فطالما نحن نتعامل مع الأسباب نحن نستعين بالله سبحانه[١].

٢-صحيح أنه تعالى أمر بالأخذ بالأسباب؛ لكنه أمر أن يفزع قلبك إليه أولًا، فقال سبحانه: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ}[٢].

{عَزَمْتَ} فِعْلُ القلب، أي إذا اجتمعت إرادتك، مثلًا قررت غدًا أن تستضيف أصحابك، هنا قد عَزَمت، ففي هذه اللحظة - لحظة اتخاذ القرار وليس لحظة تنفيذه- تتوكل على الله، إذًا؛ فالأمر صريح بأن تتوكل حين تعزم، قبل أن تتكلم عن أسباب تحقيق مُرادك، وعن أسباب تأديب أولادك، وعن الأسباب التي تُنجِح موقفك مع ضيوفك غدًا افزع إلى الله فإنه نِعْمَ الوكيل.

حين تعزم وأنت تعرف أنه لاحول ولا قوة لك على التنفيذ، وتعلم أن الله وكيل على عباده، قد تَكفَّلَ أن يُدبِّرهُم أَحسن تَدبير، ويُصلِحهُم أحسَن إصلاح، ويَشرَح صُدورَهم، ويُيَسِّر أمورهم، هنا ستكل الأمر إليه ليهيئ أسبابه وييسره.

ومن العَجَب أن تَجدهُ وكيلًا للعباد، عالمًا بأحوالهم، وهو العزيز الذي أمره ينفذ ولا يردّ، كل هذه الصفات فيه وبعد ذلك لا تتخذه وكيلا؟! هذا عَيب في التفكير؛ وذلك لأن تفكيرك يقبل توثيق الناس للناس، فلما يمدح لك طبيب ما، توكله أمر علاجك ثقة منك بعلمه وخبرته، ولما يمدح لك

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الِالْتِفَاتَ إلَى السَّبَبِ هُوَ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ وَرَجَاؤُهُ وَالِاسْتِنَادُ إلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يَسْتَحِقُّ هَذَا، لِأَنَّهُ لَيْسَ مُسْتَقِلًّا، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ شُرَكَاءَ وَأَضْدَادٍ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ: فَإِنْ لَمْ يُسَخِّرْهُ مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ، لَمْ يُسَخَّرْ". انتهى من "مجموع الفتاوى " (8/169).

(٢) [آل عمران: ١٥٩]

محامٍ ما؛ توكله أمر قضيتك ثقة منك بخبرته ومهارته؛ بل وتحمد الله أن رزقك من يتولى عنك أمورك، هذا وأنت تعلم أنهم بشر ينامون وينسون، ولابد من صدور النقص والعيب في علومهم وأفعالهم؛ فكيف لا تتخذ الله الذي هو على كل شيء قدير، العزيز الذي إذا أراد أمرًا أنفذهُ، العليم الخبير الحكيم الذي له كمال الصفات أجمع، كيف لا تتخذه وكيلًا، وقد أمرك أن تتخذه وكيلًا؟!

أليس هذا ناتج الثقة بصفات المخلوقين والجهل بصفات رب العالمين؟!

أنت تُقِر في الصباح والمساء أنك إن لم تتخذه وكيلا فقد أهلكت نفسك: ((لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ))[1]، وفي رواية أحمد: ((إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي تَكِلْنِي إِلَى ضَيْعَةٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ وَإِنِّي لَا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ))[2] يعني أنت تقول: لو جئت أدبر سأُضيع نفسي! أو أدبَر تدبيرًا يَظهَر فيه عَواري، أو أَدبِّر تَدبيرًا أقع فيه بذنب، أو أدبِّر تدبيرًا يحصل مني فيه خطيئة، هذا تدبيرك لنفسك، فلماذا تقتنع بتدبيرك وقد جربته وخبرته؟!

أنت وكل من حولك وصفكم الله بوصف واحد: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}[3]؛ فإذا كانوا كلهم على حدٍ سواء مِن جهة فقرهم؛ فلماذا تُعَلِّق نَفسَك بالفقراء؟! ولماذا تَنتَظِر مِنهُم إمدادًا أو إسعادًا؟!

إنما الإيجاد مِن الله، والإعداد مِن الله، والإمداد مِن الله، والإسعاد مِن الله، وهو الذي أضحك وأبكى؛ فلا تتشبث بأحد غيره سبحانه، تَوَسَّل إليه أن يَشرَح صدرك وأن يُهَدِّئ نفسك وأن يَجعلك ترضى عنه، فإن من رضي فله الرضا، وما أطيب حياة الرضا.

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٣) [فاطر: ١٥]

نبدأ الآن بالكلام عن هذا الاسم العظيم :

أولًا: معنى الاسم في اللغة:

قال ابن سيده: وَكِلَ بالله وتوكَّل عليه واتكل: استسلم له، ويقال: توكَّل بالأمر إذا ضَمِنَ القيام به، ووكَلْت أمري إلى فلان، أي: ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلانٌ فلانًا: إذًا اسْتَكفاه أَمْرَه، إما ثقةً بِكفايَتِه، أو عَجزًا عن القيام بأمر نفسه.

ووَكَلَ إليه الأمر، أي: سَلَّمهُ، وَوَكَلَهُ إلى رأيه، أي: تركه[١].

وقال الجوهري: "والتوكُّل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم التُّكلان"[٢].

وقال الزجاجي: "الوكيل فعيل، من قولك: وكلت أمري إلى فلان وتوكَّل به، أي جعلته يليه دوني وينظر فيه، والوكيل: الكفيل كما في قول الله: {قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ}[٣]،أي: كفيل[٤].

فمعنى الاسم يدور حول الاستسلام لأمر الله سبحانه وتعالى، والاعتماد عليه سبحانه وتعالى والاعتصام بهِ.

وأما الكفيل؛ فهو من:

كفله يكفله وكفّله إياه، والكافل: العائل، كما في قوله تعالى: {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا}[٥]، أي: قام على أمورها وكان عائلاً لها".

---

(١) اللسان مادة توكل، نقلا عن نهج الأسمى.

(٢) الصحاح، نقلا عن النهج الأسمى

(٣) [يوسف:٦٦].

(٤) اشتقاق الأسماء ص١٣٦- ١٣٧، نقلا عن النهج الأسمى.

(٥) [آل عمران من الآية:٣٧].

وفي الحديث: ((أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ))[١]، والكافل: القائم بأمر اليتيم المربي له، وهو من الكفيل الضمين[٢].

ثانيًا: مواطن ورود الاسمين في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية:

ورد اسم الوكيل في القرآن أربع عشرة مرة، منها مرة واحدة مُطلقًا مُعرفًا في قوله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[٣]، والباقي غير مطلق، ومنها قوله تعالى: {وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا}[٤]، ومنها قوله تعالى: {لا إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}[٥].

وسيأتينا في الشرح بعض هذه المواطن، وسيتبين في أي المواقف نتعبده سبحانه بهذا الاسم الكريم، ومما شك فيه أن تكراره يَدل على شدة حاجتنا له.

أما وروده في السُّنَّة النبوية، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: "{حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حِينَ قَالُوا: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}"[٦].

وأما الكفيل؛ فقد جاء مرة واحدة، في قوله تعالى: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}[٧].

---

(١) رواه أبو داود في سننه وغيره، وصححه الألباني.

(٢) النهج الأسمى.

(٣) [آل عمران:١٧٣].

(٤) [النساء: ٨١].

(٥) [الأنعام:١٠٢].

(٦) رواه البخاري في صحيحه.

(٧) [النحل: ٩١].

ثالثًا: معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال الفراء في قوله تعالى: {فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا}[1]، "أي: كفيلاً بما وعدك"، وقال في قوله تعالى: {أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا}[2]، "أي: كافيًا وربًّا".

وقال ابن جرير في قوله تعالى: {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[3]، "أي: يكفينا الله وهو نعم المولى لمن وليه وكفله، وإنما وصف الله تعالى نفسه بذلك؛ لأن الوكيل في كلام العرب هو: المُسْنَد إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله تعالى في هذه الآيات كانوا قد فَوَّضُوا أمرهم إلى الله ووثقوا به وأسندوا ذلك إليه، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة، فقال: ونعم الوكيل الله تعالى لهم"

وقال في قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}[4]، "أي: توكَّل يا محمد على الله، وفوِّض أمرك إليه، وثق به في أمورك، ووكِّلها إياه {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}"، فالله تعالى كافيك وهو حَسْبُكَ وناصُرك ووليًا لك ودافعًا عنك،

وقال في قوله تعالى: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}[5]، "أي: الله على كل ما خلق من شيء رقيبٌ وحفيظ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته"[6].

فيتلخَّص في الوكيل ثلاثة معان: ١- الكفيل. ٢- الكافي. ٣- الحفيظ.

وأما معنى الكفيل؛ فقال ابن جرير في قوله تعالى: {وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا}: وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيًا يرعى الموفي منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به، والناقض[1].

---

(١) [المزمل:٩].

(٢) [الإسراء: ٢].

(٣) [آل عمران:١٧٣].

(٤) [الأحزاب:٣].

(٥) [الأنعام من الآية:١٠٢].

(٦) جامع البيان، (نقلا عن النهج الأسمى).

وقال القرطبي:{ كفيلًا} يعني: شهيدًا، ويقال: حافظًا، ويقال: ضامنًا[٢].

وسنرى قصة وردت في البخاري تُبيّن معنى اسم الوكيل والكفيل:

مِن عجيب ما قصّه النبي-صلى الله عليه وسلم-عن بني إسرائيل في هذا الباب ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:

(أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ. فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ. فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. قَالَ: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ. قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ. فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى. فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ).

(فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا فَرَضِيَ بِكَ وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا فَرَضِيَ بِكَ وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا. فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ. فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ. ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ. قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ. فَانْصَرِفْ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا)[٣].

وهذا مما صحَّ عن النبي-صلى الله عليه وسلم- مِن قصص بني إسرائيل.

---

(١) جامع البيان.

(٢) التفسير (١٠/ ١٧٠) نقلا عن النهج الأسمى.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الكفالة، بَابُ الكَفَالَةِ فِي القَرْضِ وَالدُّيُونِ بِالأَبْدَانِ وَغَيْرِهَا، ٢٢٩١).

فلو وَكَّلت الله -عزَّ وجلَّ- بأمر، حتى لو كان بينك وبين من تعامله مثل هذه البُحور سيوصلهُ الله -عزَّ وجلَّ- لصاحبهِ !

انظر جيدًا إلى الأمر: لا شخص آخر أخذ الخشبة، ولا شخص آخر فتح الورقة، ولا شخص آخر استلم هذه الدنانير، فهو جعل الله-عزَّ وجلَّ- عليه وكيلًا ونِعْمَ الوكيل، بيدهِ الأمر، بيدهِ مقاليد كل شيء.

حين توكّل الله تعالى على أَمرِك؛ انظر إلى صفات مَن وكّلته: (على كل شيء قدير، بكل شيء عليم، حكيم، رحيم،....)؛ فحين يدبّرك سيدبّرك بهذه الصفات، وحين تتخذه وكيلًا، وتكون قوة تَعلّقك به صادقة، لا يمكن أن يَخذِلك، لكن لابد أن تتصور أن المسألة تحتاج إلى توحيد في التوكيل.

ما المقصود بالتوحيد في التوكيل؟

التوحيد في التوكيل يعني أمرين:

١. أن تتخذه وكيلًا.

٢. وأن لا تتخذ غيره وكيلًا.

وهذا التوحيد تعامل به كل أسماء الله تعالى وصفاته .

ثم اعلم أن الله تعالى يختبرك حين يتعلق قلبك به توكُّلًا عليه؛ فقد يأتيك مِن الناس مَن يقول لك: (أنا أفعل لك، أنا عندي واسطة، أنا أفعل كذا وكذا)؛ فلا يكن تعلقك بهذا.

قد تقول هنا: لعل هذه أسباب هيأها الله لي بسبب توكلي عليه؛ فكيف أعرف أنها ليست كذلك؟

نقول: اعلم أن هذه يُمكن أن تكون اختبارًا وليست أسبابًا، وحتى لو كانت أسبابًا؛ فعليك قبل أن تقفز إليها أن تتعلق بهِ - سبحانه وتعالى-، وتستعِين به، وتستهديه، وتستخيره، وتسأله: رب هل آخذ بهذا السبب، أم لا ؟

المهم أن تعلم أنك حين توحده في التوكل ستأتيك اختبارات، وأن تعلم أن الصعوبة كلها هي أن تجعله وحده وكيلك؛ لأنك قد تجد نفسك قويًا ماهرًا في بعض الأمور، وأنك قد فعلتها من قبل مرارًا وتكرارًا؛ فتظن أنك قادر عليها؛ فتصبح نفسك هي الحاجز بينك وبين التوكل، وقد اتفقنا أن خبرتك السابقة هي نقطة بلائك؛ فكلما ازددت خبرة ازدادت ثقتك بنفسك وشعرت أنك في غنى عن الاستعانة بالله، وما هذا إلا خذلان.

ماذا تفعل إذا مَكّنك الله وأصبح عندك خبرة في بعض الأمور؟

١- ذَكِّر نفسك أنك لم تكن تعْلم وعلَّمك الله، لابد أن تُذكِّر نفسك بأصلك، ولو لم تفعل هذا ستدفع الثَّمن قريبًا !

مثاله: امرأة متمكِّنة في الطبخ، فإذا قيل لها: (افعلي لي كذا وكذا) ترد فتقول: (هذا أمر سهل، فقط أعطِني ربع ساعة)؛ فمثل هذه في الغالب تخذل تأديبًا لها، لأنها نَكَبَت نَفسها بشعورها بقوة قدرتها[١].

٢- ثم اعلم أن هذا الذي تمكّنت منه قد تأتيه عوائق لا تستطيع ردها:

مثاله: صداع في رأسك يجعلك لا تستطيع أن تنظر إلى جهازمعلوماتك، وقد كنت واثقًا أن أمورك ستتم، أو ينقطع الإنترنت فجأة وأنت مطمئن أنك تستطيع إكمال عملك من شبكة أخرى؛ فتكتشف أن الخط الرئيسي قد انقطع! وفي الواقع حين حصل هذا مرتين متواليتين صدم أصحاب القلوب المعلقة بالإنترنت، وبعض الناس سافروا وقد اطمأنوا أن بعض ملفاتهم وأشغالهم سترسل لهم عن طريق الإنترنت؛ وفجأة طلب منهم الانتظار لأيام!

(١) و في المقابل قد تتكلم أمام الناس فتقول: (هذا الشيء سهل عليَّ مثل شربة الماء) ويتركك الله -عزَّ وجلَّ- ويعاملك بحِلْمِهِ، لكن اعلم أنك كلما ازددت عبادةً وطاعةً أدبك الله بسرعة أكثر، وكلما أتى هذا التأديب بسرعة أكثر دلَّ على أنك قريب مِن الله.

فهؤلاء خرجوا مطمئنين أن أمورهم مدبرة؛ ثم يفاجؤون بأن كل شيء قد توقف، **والمفترض هنا أن يعلمنا هذا الموقف أننا لا نستطيع الاعتماد على تدبيرنا لأنفسنا، وأن علينا أن نكون أقوياء في التوكل على الله حتى لو توافرت لنا كل أسباب نجاح العمل.**

أحيانا كثيرة نذكر أنفسنا أن لا تنسَ أمرًا ما، ونضع ما يذكرنا به؛ ثم لا نذكره إلا بعد فوات الأوان، وكم مِن المرات وضعنا أشياءنا عند الباب كي لا ننساها حين نخرج؛ ثم ننساها، هذا تأديب عام، مِن أجل أن تعرف من أنت، ولو اتخذته وكيلا لذكّرك بها في الوَقت المناسب، لا تقل: (يحصل هذا لأن ذاكرتي ضعيفة)؛ فذاكرتك في قلبك، وقلبك هذا بقدر امتلائه بكمال الله، وبقدر امتلائه بالتعلق بالله بقدر ما يذكّرك الله ما ينفعك، وإن لم يذكرك تعرف لمَ لمْ يذكرك؟

لاترهق نفسك بتصور أن عليك تدبير شؤونك كلها، وأنه يجب أن تبقى ذاكرًا للأشياء وأن عليك أن لا تُخطئ!

لا تَحْمِل بكفّيك مسؤولياتك ومسؤوليات أولادك، فأنت في الأصل ضعيف، ولو أنك حملت كأسَ ماء وأردت أن تحْمِل ورقة مِن الأرض؛ ستحتاج لتركيز حتى لا تسكب الماء، وفي النهاية لابد أن تسكب منه، وهكذا بنفس هذه الطريقة سيكون تدبيرك لشؤونك؛ فمهما بذلت جهودك، ومهما خططت وحسبت بالورقة والقلم؛ لا يحصل في النهاية إلا ما يريد الله.

ومن رحمة الله أنك تُذكَّر بهذا في أذكار الصباح والمساء، فها أنت تقول لربك: (لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ)، يعني: لا تجعلني يا رب أدبر نفسي ولا بمقدار طَرفة عين، ومعنى هذا أنك توكله عنك في كل الأمور، معنى هذا أنك بقول: (لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ) تقوم بِدَفعِ عَدوَّك الأكبر - الذي إن تُرِكتَ له فسدتَّ- وفي رواية لأحمد، قال النبي- صلى الله عليه وسلم- فيها: (إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي تَكِلْنِي إِلَى ضَيْعَةٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ وَإِنِّي لَا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ)، فهذا كلام واضح في أن العبد إذا اتَّكل على نفسهِ في تدبير شؤونه ضاع[1].

(١) وفي أول الدعاء تقول: (أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ)، دبّرني واجعله صالحًا لي، ولو فهمت معنى الصّلاح و معنى أن تكون صالحًا؛ لعلمت أن (أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ) ليس معناها أنه يجب أن يوافق هواك، إنما تعني: يا رب دبّرني في شأني بما يزيدني صلاحًا لأن أُجاورك في جنّتك، لأن معنى عبارة (هذا

هل معنى هذا الكلام أن لا نُخطط ؟! لا، ليس هذا المقصود؛ بل المقصود هو أن تستعين بالله أول ما يشتعل في قلبك إرادة شيء.

وقد اتفقنا أن النسيان أمر طبيعي، ومن أجل ذلك قال تعالى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}[1] فمثل هذه المفاهيم لن تستملك قلبك مِن أول ما تسمعها، إنما عندما تسمعها أول مرة تكون كأنها خاطر، ثم مع تكرارها تَتشبّع بها، ثم مع تكرارها والصَّدق في إرادة التمسك بها يسددك الله - عزَّ وجلَّ - في المواقف، فالتسديد لا يأتي إلا مِن عند الله - عزَّ وجلَّ- ، لكن مِثل هذا لا يَنفع فيه إلا الإعادة والزيادة حتى يتشبّع قلبك، وكلما زِدْتَ سَماعًا عن وصف الله وزدْتَ لجوءًا له؛ زاد عدد المرات التي توفق فيها، و قل عَدد السّاعات التي ينفصل فيها قلبك عن اللجوء لله، وعن ذكره سبحانه.

نبدأ بدراسة الاسم مِن جهة وُرودِهِ ليتبين لنا بوضوح بعض المواقف التي نعامل الله بها باسمه الوكيل:

أولًا: آية آل عمران: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[2] في هذه القصة قيل للنبي- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه رضي الله عنهم: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ} يعني جاء الذي يُخيف بالمواجهة، فماذا فعلوا ؟ قالوا: حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

عبدٌ صالح) أنه عبدٌ صالح لمجاورة الله في الجنّة، فالعباد يصلحون للمجاورة بعد أن يصلحهم الله، فأنت تقول: (أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ) يعني أجرِ عليَّ في شؤوني وتدبيري ما يجعلني صالحًا لمجاورتك.

(١) [الذاريات: ٥٥]

(٢) [آل عمران: ١٧٣]

إذًا؛ متى تتعبد باسم الوكيل؟ إذا خَشيتَ مِن ضررٍ يقع عليك مِن أحد، خصوصًا لو جاء هذا الضَّرر بصورة التَّخويف، كأن يقال لك مثلًا: (عامل فلانًا جيدًا؛ وإلا فسيأتيك منه شر)، فماذا تفعل هنا؟ تقول: {حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}.

ولابد أن يكون في داخلك مُعْتَقَد أنه كلما قوي توكلك كان الله حسبك، وأن كل الأدعية هذه مثل السيف، والسيف بضاربِهِ، أي أنّ السيف يقطع ولا توجد فيه أيّ مشكلة، لكنه يحتاج يَدًا قوية تَضرب به، فعلى حسب قوة اعتقادك ينفعك الدعاء[1].

ثانيا: آية النساء: {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلًا}[2]

{وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ} أي أنّ هؤلاء المنافقين يقولون: سمعًا وطاعةً، {فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ} يعني إذا خرجوا من عندك {بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ}، {وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ} هذا على وجه التهديد.

مشكلة النفاق، أنهم يكونون في صفوفك: داخل بيتك، داخل مجتمعك، داخل طلابك لو كنت معلمًا، داخل مدرستك لو كنت مديرًا، داخل اجتماعك لمن له اجتماعات، المهم أنك قد تجد

---

(١) من أجل ذلك يأتي الناس في أحيان كثيرة إلى أدعية معينة ويذكرونها في مواطن، وقد تكون المواطن صحيحة؛ ثم بعد ذلك لا يخرج بنتيجة، بعض الناس مثلًا يقرؤون آية الكرسي عند النوم، وقد أتى الوعد أنه لا يَقرَبه شيطان، لكنهم ينامون ويحلمون بأحلام مزعجة، فماذا نقول لهم؟ نقول بأن آية الكرسي مثل السَّيف، والسَّيف بقوة ضاربِهِ، فماذا يجب أن تفعل في قلبك؟

أولًا تعتقد بكل الموجود في آية الكرسي، ثم تَتلوها بِلسَانك، ومِثله عندما تَخاف من أحد لا تتخيل أن حروف هذا الدعاء هي التي سَتنفَعك، حروف هذا الدعاء عبارة عن تَرجمة لاعتقاد قامَ في قلبك، وعلى ذلك كل الأدعية تستعمل بهذه الصورة، فحين تأتيك وعود عظيمة على أدعية لا تستغرب؛ لأن هذه الوعود العظيمة مَبنية على فَهمك لهذا الدُّعاء، مِثل سَيد الاستغفار، فقد أتاك وَعد أنك إذا قلت سيد الاستغفار في الصباح ومِتَّ تدخل الجَنَّة، ما بينك وبين الجَنَّة إلا الموت، وكذلك في المساء، وهذا الدُّعاء لا يأخذ من الوقت الكثير، فلماذا هذا الوعد العظيم على هذا النص؟ لأنك لو فهمت تفاصيلهُ، لو وَقَعَ في قلبك قوة الذُّل، وقوة البَراءة، وقوة الخوف من ذنبك، كل هذا مُؤهِلٌ لك أن يُغفَر لك؛ فَتُقبِل على الله مغفورًا لك.

نشّط اعتقادك، يعني اقرأ معاني هذا النص مرة أخرى، واقرأ ما يدل عليه، نشِّط اعتقادك مثلًا في اسمه (الغفور)، فلمَّا تُنشّط اعتقادك في اسمه (الغفور) ويأتيك سيد الاستغفار سَيَنْشَط. أرأيت كيف يستعمل الناس الإبر المنشطة لتتحرك أبدانهم؟ كذلك يفعل تكرار العلم في قلبك: العلم الجديد رداؤك، وتكرار العلم القديم مُنَشِّط يُحَرِّك قلبك، ولا تنس قوله تعالى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات: ٥٥].

(٢) [النساء: ٨١].

داخل مجتمعك الصغير شخصًا منافقًا يبيّت لك ما لا يرضى الله من القول، لكن مَن هو؟ وما حالهُ؟ وماذا يبيّت؟ وكيف يريد أن يَصِل؟ كل هذه هموم تجعلك لا تنام الليل، وهي ليست مثل الحالة الأولى، الحالة الأولى عدوك فيها واضح، أما الحالة الثانية فأشد صعوبة؛ لأنها من الدَّاخل وخَفِيّة، وكل شخص يقول لك رأيًا في هذا الذي تَشُكّ فيه، وكل شخص يوجّهك فيه توجيهًا، فلا تعرف في النهاية ماذا تفعل، وماذا يريدون أن يفعلوا، وماذا يدبّرون وماذا يخطّطون...إلخ. مَكائد تشغل بالك ووقتك، وتلهيك عن مهمات أمورك، وهذه تكون بين النساء أكثر، كما في مسائل تتصل بالتعدد، أو يمكن أن تحدث أيضًا عندما يكون نساء الإخوان مع بعضهن وعندهن مؤامرات وقصص وحكايات، فتجد أنهن يظهرن لك الحب والنصح، وبعد ذلك تسمع عن تصرفات وكلام ضدك، وأنت في حيرة: هل تصدق ما يقال، أم تصدق ما رأته عيناك من نصحهم؟! وهذا من أصعب الأمور؛ أن يأتيك البلاء مِن شخص مَجهول لا تَعرِف مَن هو، أو قد تعرفه لكنه ليس ظاهرًا وليس باطنًا، وتصبح بين أن تظلم نفسك، أو تظلم الآخرين.

والحل في ثلاثة أفعال؛ فعل بِبَدَنك، وفعلَين بقلبك:

١- { فأَعْرِضْ عَنْهُمْ}: لا تخض في كلامهم – وهذا دون أن تترك معاملتهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم عامَل المنافقين- لكن من الداخل أعرض عن كُل كَلامهم؛ لا تدخل نفسك في نقاشات وكثير كلام؛ فهذا الكلام الكثير يدخل أطرافًا لا علاقة لها بالموضوع، و أيضا لو شَغَلْتَ نفسك بهم لن تستطيع أن تعبد، ولا أن تدعو، ولا أن تصلّي، ولا تعرف طريقك المستقيم، فلا تشغل نفسك بهذه الدوامة كلها؛ لأنك ما خُلِقت لأجل هذا، إنما أتاك هذا امتحانًا لك. (هذا فعل الإعراض).

٢- { وتوكل على الله}: املأ قلبك توكلًا عليه، وهو يرد عنك ويشغِلهم بِأنَفسهم، ويجعَل تَدبيرَهم تَدميرًا لهم، ويُنجيك منهم وإن فعلوا ما فعلوا. (هذا فعل التوكل).

٣- { وكفى بالله وكيلا}: ثم بعد ذلك إن تحرك في قلبك قلق ما؛ سَكِّنْ نَفسَك بأن وكيلك أهل أن يكتفى به؛ فهو نعم المولى ونعم النصير، وهو الذي من توكل عليه فهو حسبه. (هذا فعل الاكتفاء به وكيلًا) [١].

ثالثًا: آية النساء: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}[٢] لو كانت لك أُمنية، عندك رغبة تودّ تحقيقها؛ سواء صلاح أبناء أو غيره، وما استطعت تحقيقها، أو تراها في الأفق لكن تغتم خوفًا من فَواتها، أو ترى أمامها عوائق، فيُقال لَك: أليس مُناك هذا مُلْكٌ لله؟! هل يأتي به أحد غير الله؟!

لا يأتي بمُناك إلا الله، وأنت تعلم أن له ما في السماوات وما في الأرض، إذًا؛: اتخذه وكيلًا، وَكِّله أن يأتي لك بِمُناك.

مثال: شخص يريد أن يترقّى في عمله، يشعر أن هذه الترقية في العمل أمنية يحبها ويتمناها، نقول له: ما دام ظهرت لك أُمنية، إذًا كيف تُعاملها؟ لا تشغل نفسك ليلًا ونهارًا بأنهم سيقبلون فلانا لو تكلّم، وبأن فلانا أتى بشهادته وسيتفوّق على شهادتي! لا تفكّر هذا التفكير، إنما أُمنِيتك التي تريدها تَمنَّها على الله، واتخذه وكيلًا يأتِك بها، وكفى به وكيلًا.

تتخذه وكيلًا وأنت تعتقد أنك لو وكّلته لن يخذلك، وأنه لو لم يأتك مرادك الآن؛ فسيأتيك بعد حين، ويأتيك في أحسن وضع، بل ويأتيك أعظم منه لو رضيت به ربًّا، يقول السعدي رحمه الله في قوله تعالى: {ومن يتوكل على الله فهو حسبه}: "وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيره إلى الوقت المناسب له.." انتهى.

---

(١) كل الصعوبة في أن نتوازن بين مفاهيم كثيرة، مثلًا: أتوازن بين توكُّلي على الله واكتفائي به وكيلا – وهذا بالنسبة لي يعتبر غاية في الطمأنينة– وبين أني أنا ضعيف أصلًا ليس لدي القدرة أن أُنافح ولا أُدافع.

(٢) [النساء: ١٣٢]

فكونك تتخذ الله وكيلًا هذا معتمد على رضاك بالله ربًا، ومثال ذلك:

تمنيت تخصصًا في عِلم معيَّن، ولم يُقدَّر لك بعد أن اتخذت الله وكيلًا وطلبت الله ورَجَوته وقلت: أنت يا رب حسبي ونعم الوكيل، سأوكلك أمري، لن أشغل نفسي ولن أدمّر نفسيّتي[1]، ثم لم تدخل الكلية التي تتمناها، وأتى محلّها بديل، فالبديل هذا هو اختيار الوكيل الذي هو أعلم منك، وأحكم منك، وأرحم بك، انظر لنفسك حين تُوَكِّل محاميا ثقة وتقول له: اذهب وخُذ قرارًا بدلًا عني؛ فأنا أثق في عِلمك، وأثق في حكمتك؛ كيف تكون حالتك بعدها؟ ألست تنام قرير العين هانيها؛ لأن وكيلك أهل للثقة!

هذا حالك في توكيلك للبشر، فكيف بتوكيل العليم الحكيم الرحيم البر الكريم الذي لا يريد إلا خيرك ؟!

لذلك حين تستخير الله ويختار لك لا تقل: ماكنت أتمناه أفضل مِن الذي اختاره الله لي؛ بل ولا يخطر ذلك منك على بال، فالرضا مهم في هذه الحال، ولهذا في آخر دعاء الاستخارة نسأل الله الرضا ونقول: واقدر ليَ الخير حيث كان، ثم رضني به، إذ كيف يصح أن توكل من لست ترضى عن اختياره؟ لو فُهم اسم الوكيل جيدًا لعُلم أنه يستلزم صفات الجمال؛ فبما أنه يجب عليَّ أن أتخذه وكيلًا؛ إذًا من المؤكد أنه بَرٌّ، رحيم، كريم، ودود... إلى آخر هذه الصفات.

رابعا: آية النساء: {إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا }[2] ما علاقة نفي الولد وإثبات المِلكِية بالوَكالة؟

(١) مشكلة الذي لم يتخذ الله وكيلًا هي أنه يقوم بعمل تدمير لنفسه من الدَّاخل؛ لأنه طوال الوقت يبقى في قلق، طوال الوقت يحسب حِسابات: لو ذهب فلان قبل فلان، ولو دخل فلان قبل فلان، ولو لم يرضوا هذه الورقة، ولو أخرجوا قانونًا جديدًا، وتأتيه الخيالات! لهذا؛ مِن بداية الأمر ارحم نفسك وقل: رب أنت حسبي ونعم الوكيل، إليك أفوّض أمري.

(٢) [النساء: ١٧١]

نحن نتكلم عن التوحيد؛ فهو وحده الإله، والإله يعني المألوه الذي تتعلق به القلوب وتعظِّمه، ففي بداية آية الكرسي: {اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ} وفي آخرها: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}، هو الإله العَلي الذي تتعلق به القلوب، والعظيم الذي تعظِّمه القلوب، فإذا عَلِمْت أنه وحده الذي يجب أن تتعلق به القلوب وتعظِّمه، وليس له ولد، وله وحده الملك، إذًا؛ المطلوب منك أن لا تتخذ غيره وكيلًا، فكما أنّك توحّده في الألوهية وتنفي عنه الولد وتوحّده في الملك؛ فوحّده في كفايتك بوكالته.

نحن مشكلتنا في الجُملة الأخيرة: {وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلًا}، فنحتاج التيقن بها.

خامسا: آية الأنعام: {ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}[1] اعبده وانشغل بعبادته، ثم ماذا تفعل في كل الذي يهمّك؟ وَكّل الله عليه، فلا تبقَ مشغول القلب بالتخطيط للغد بعد أن قيل لك: { فاعبده وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}، أي: اعتن بإصلاح دارك الآخرة، أما أمور دنياك التي تعيش بها فاتخذه عليها وكيلًا؛ سيرزقك ويسر لك، ويأتيك من الموافقات العجيبة في الأسباب مالا تستطيع إدراكه.

تسمع كثيرًا عن دورات تكلّمك عن النجاح وماذا تفعل من أجل أن تنجح، ويقولون لك بأنك لو فعلت كذا ستصبح الحياة سهلة، **وإليك وَصْفَة تُسَهِّل عليك الحياة أكثر بكثير من كل ما يقولون:**

اذهب لِمَن يملك كل شيء،-وهو الذي طلب منك أن تتخذه وكيلًا – وتوسل إليه أن يرشدك من أين تأتي بمرادك؛ فينفق عليك ويُعطيك ويحدد لك أين تذهب، واطمئن إليه فهو الذي يهيّئ لك أسباب مرادك، ويعطيك الحول والقوة لتذهب وتأتي بمرادك، وينفعك حين تَصِل إلى مُرادك، ففي الحديث:

---

(١) [الأنعام: ١٠٢]

((إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟))[1].

ما معنى قولك (لا حول ولا قوة إلا بالله) عندما تخرج من المنزل؟

يعني أنا أعترف يا رب بأنه ليس لي حول ولا قوة على تحصيل مصلحتي إلا بِك.

فلا أيسر مِن أن تعيش على الله معتمدًا، ومنه منتظرًا أن يُريك الأسباب ويسّرها لك فتأخذها.

<u>وإليك هذا المثال:</u>

لنفترض أن شابة دخلت على زوج، وهي تجهل كل شيء عنه، لا تعرف مفاتيحه، لا تعرف ما الذي يرضيه، لا تعرف ما الذي يوصلها إلى قلبه؟!

هذا سرّ، فمهما كنت تفهم لا يمكن أن تأتي بمفتاح قلبه، لكن الذي خلقه هو الذي {لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ}، فانكسِر عنده تعالى {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} فهو الوكيل الذي يُسَدّدَك أن تتصرف مع هؤلاء كما ينبغي؛ فتُفتح قلوبهم لك.

أليس هو الفَتَّاح الذي يَفتَح المَغاليق؟!

فإذا كان هَمّك قلوب مَن حولك؛ فهو الفتاح الذي يفتح مغاليق القلوب!

وإذا كان همَّك الرزق؛ فهو الفتاح الذي يفتح مغاليق الأرزاق ومغاليق الأسباب!

وإذا كان همك العلم؛ فهو الفتاح الذي يفتح مغاليق الفِكر!

فتوكل على الحَيّ الذي لا يموت، وقُم بوظيفتك: {فَاعْبُدْهُ}، ثم فوق هذا كله اعلم أن توكلك عليه يزيد مكانك عنده، فهو عبادة من العبادات، وسبب لكفارة ذنوبك، ورفع درجاتك، وذِكر الملائكة

(١) رواه أبو داود في سننه وقال الألباني صحيح.

لك، فأنت الآن لن تستفيد في الدُّنيا فقط؛ بل تُفتح عليك أبواب الارتفاع عند الله بصورة لا تتصورها، فحتى تَحصِيلك لِشؤون دُنياك أَصبح في ميزان حَسناتك ما دمت اتَّخذتَه وكيلًا.

ومن أجل ذلك نقول: إن أكثر ما يُتعِب الناس أن يستغيث سَجين بِسَجين، وغَريق بِغَريق، ومحبوس بمَحبوس، فكل الناس مِثْلَك بالضبط: محبوسون، سجناء، غرقى!

سادسًا: آية الأحزاب: {وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}[1] نلاحظ أن هذا ثالث موطن يَتَبَيَّن لنا فيه ماذا نفعل حين يريد أحد ما إيذاءنا ظاهرًا كان أو باطنًا.

هذه الآية جمعت بين الكافرين والمنافقين، وقد مَرّ معنا سابقًا آيتان: واحدة كانت في الكافرين، وأخرى كانت في المنافقين، لكن هذه الآية جمعت بين الكافر الظَّاهر العداوة، وبين المنافق الذي يكون معك ويكيد لك، فكيف تتعامل معهم؟

دَعْ أَذَاهُمْ، **وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ في إتمام أمرك**، وخذلان عدوك، وفوض إلى الله أمورك، وثق به؛ فإنه كافيك جميع من دونه، حتى يأتيك بأمره وقضائه، دع أذاهُمْ؛ فَلا تُراقِبْهُ في شَيْءٍ، ولا تَحْسَبْ لَهُ حِسابًا أصْلًا، واصْبِرْ عَلَيْهِ فَإنَّهُ غَيْرُ ضائِرِكَ لِأنَّ اللَّهَ دافِعٌ عَنْكَ، ولَمّا كانَ تَرْكُ المُؤْذِي، والإعْراضُ عَنْهُ اسْتِسْلامًا في غايَةِ المَشَقَّةِ، ذَكَّرَهُ بِالدَّواءِ فَقالَ: ﴿وتَوَكَّلْ عَلى اللَّهِ﴾ أي: توكل على المَلِكِ الأعْلى في الِانْتِصارِ لَكَ مِنهم و إبْلاغُ جَمِيعِ ما يَأْمُرُكَ بِهِ وفي جَمِيعِ أمْرِكَ، ﴿وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: وحسبك بالله قيّما بأمورك، وحافظًا لك وكالئًا، كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا تُوكَلُ إليه الأمور المهمة، فيقوم بها، ويسهلها على عبده، ومَنِ اكْتَفى بِهِ أنارَ لَهُ جَمِيعَ أمْرِهِ[2].

---

(١) [الأحزاب: ٤٨].

(٢) الطبري والسعدي والبقاعي.

وقد أسلفنا في آية النساء السابقة أن مشكلتنا تكمن في نقطة الاكتفاء بالله سبحانه، فما هو الخلل عندنا في نقطة الاكتفاء به، وكيف نعالجها؟

ليتضح الأمر نضرب أولًا مثالًا مِن الواقع: لو وكّلت محاميًا وأنت تعلم أنه محامٍ بارع، وأخذت تتصل به كل يوم: (ماذا فعلتم؟ وأين وصلتم؟) هل سيقبل هذا منك؟ مؤكد أنه لن يقبل، إنما سيقول لك: (أنت تثق بي أم لا ؟ وكّلتني أم لا؟) سيصدّك مباشرة؛ لأن تفتيشك وراءه دليل على عدم ثقة فيه، ولو اكتشف أنك سألت غيره، سيعيد لك ملفك.

لكن مع الأسف هذا الواقع في قلوبنا- نسأل الله أن يغفر لنا- فنحن نوكّل ربنا ونطلب منه ونقول: (أنت نعمَ الوكيل يا رب، ودَبِّر أمري ويسّر لي هذا الأمر)، وبعد ذلك لا نستطيع أن ننام، وكل لحظة تأتينا أفكار سوء: ماذا لو حصل كذا، وماذا لو حصل كذا؟!

عندما توكّل ربك على أمر يجب أن لا تتعامل معه بالقلق، فكيف يقع في قلبك القلق والذي وكّلته وتولى أمرك الحكيم، العليم، الكريم، الرحيم ؟! لابد أن نعرف أن هذا مِن الشيطان، فاستعذ بالله منه أولًا، ثم أعِد على نفسك: (حسبي الله ونِعمَ الوكيل) وهذه الكلمة للأسف ليست مفهومة.

ما معنى (حسبي الله ونعمَ الوكيل)؟

يعني يكفيني الله، وكّلته وأنا على ثقة أنه يكفيني، سيدبّر شؤوني أحسن تَدبير.

فتّش همومك وعامِل الله بها باسمه الوكيل، وبعد أن توكّلهُ استح أن تعامله بالقلق، ألا تقول {وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلًا} و {حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}؟ هو نِعْمَ الوكيل، وأنت تعلم أنه حكيم، كريم، رحيم، ودود، يحب عباده وعباده يحبونه، تَعْلَم عنه هذا كله؛ ثم يقع في قلبك قلق تجاه فعله؟! أو تنتظر شيئا سيئًا يأتيك غدًا؟! هذا كذب على النفس.

قد يقال: (هذا الشيء ليس بإرادتي) لا بأس، لابد أولًا أن تعلم أن هذا خطأ، وأن لا تسمح لنفسك به ما دمت قد وكّلت ربك، يعني اشعر أنك أذنبت في حقّه، فالبشر يرفضون أن تُعامِلهم بالقلق، فكيف برب الأرباب الذي له ما في الأرض وما في السماوات؟!

قد يُحَيط بك أشخاص مرضى القلوب، يرونك هادئًا؛ فيتهمونك بالبرود، أو يرونك تنظم جدولًا لأعمالك تفاؤلًا بأن الله لن يخذلك فيما وكلته به؛ فيتهمونك بالتفاؤل، وعدم رؤية الواقع ومعطياته و.. وإلى آخر ما هنالك من كلام تفقد بسببه ثقتك بالله!

ويؤسفنا أنه مع طغيان المادّية أصبح هؤلاء هم الكثرة الغالبة الموجودة حولنا، فنتيجة عِلْمنا بأسماء الله وصفاته يصبح بيننا وبينهم انفصام في التفكير، نشعر أنهم في وادٍ ونحن في وادٍ، فلا تلتفت إليهم، وكل الأمر لله - عزَّ وجلَّ- وتوسل إليه أن يُهيّئ لك الأسباب، ولا تتصوّر أن هذا لا يقابله حركة؛ بل الذي يوكّل ربه يُفتَح لهُ من الأسباب ما يجعله حتى لو أتى بأدنى حَركة يأتي له منها الرِّزق.

(حسبنا الله ونعم الوكيل) معناها أنك توكل أمرك إلى الله، فانفعل بها بوجدانك، لا تَقلق، انتبه؛ فأعدى أعداء حسن الظن بالله هو القلق، مرض القلق إشارة إلى عدم حُسن الظَّن بالله، لا تقنع نفسك بأن القلق طبيعي، لابد أن تعلم أن القلق ظاهرة مرضية، لا بد أن تعلم أنه **ليس سبب قلقنا هو هَول ما نقدِم عليه، بل سبب قلقنا هو ضَعف ثِقَتنا بالوكيل**، ولتنظر إلى ثقة الأنبياء بالله، وإلى نتائج هذه الثقة:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ-عَلَيْهِ السَّلاَمُ-حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ"[1] خُذ مما فَتَح الله به على الأنبياء ما يُنَاسِبَك: هذا نبي وابتُلي بأن يُلقى في النار، وأنت لم يصل بلاؤك لأن تُلقى في النار؛ بل عندك جزء مِن البلاء

(١) رواه البخاري في صحيحه، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} آل عمران: ١٧٣ الآيَةَ، ٤٥٦٣.

فقط، فإذا كان إبراهيم-عليه السلام- سيُلقى في النار فقال: (حسبي الله ونعم الوكيل)؛ فَنَجَّاه الله؛ فأين عينك عن إنجاء الله له؟!

وننتبه في هذه النقطة إلى أمر مهم، وهو أن خبراتنا السيئة السابقة ربما تكون هي بلاؤنا الذي يسبب لنا القلق من فعل الله، فقد تقول مثلًا: (أنا دخلت سابقًا في موقف مثل هذا وخرجت منه خاسرًا، أوذيت، تألمت)، مثلًا هذه امرأة ولدت أول مرة، وتألمت وتعبت وتعذبت، فيقال لها في المرة الثانية: (ادعي الله أن ييسر لك)؛ فتدعو الله وهي تموت قلقًا من الدَّاخل، لا تستطيع الشعور بأنها لو دَعَت سَتتغيَّر الصورة !

لهذا نقول: خبرتُك هناك هي بَلاؤك هنا؛ لأن المطلوب منك وأنت مقدم على تجربة مُكررة أن تزيد ثقتك بالله؛ لأن العدو (الشيطان) يضع أمام ناظريك فَشَلك القديم حين تتوكل على الله، ويُشعرك بأن عليك أن تتعلم من تجاربك السابقة حتى لو اتخذت الله وكيلًا، وقد يؤيد لك قوله بالأحاديث كقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ))[1] مع العلم أن هذا الحديث ليس فَهمه كما يظن غالب الناس؛ بل الفهم الصحيح لمعناه أنه إذا كان قَوي الإيمان لا يقع في الذنب مرتين بعد أن شعر بألمِهِ؛ لكن حين يضعف الإيمان يكرره رغم الألم.

الحاصل أنك حين تَدخل في تجربة وتخرج منها بنتائج سلبية لا يبقى في ذهنك إلا الذَّاكرة السلبية، فلا بد من علاج ذلك، لا بد أن تعلم أن ما حَصل في المرة الماضية ليس شرطًا أن يتكرر، وأنك إن وضعت نفسك في إطار أنه لابد أن يتكرر تُبتلى فعلًا ويتكرر، ولهذا قل: (رب أنا جَرَّبت نفسي، ورأيت الآلام، رب أنت وكيلي، أنت حسبي ونعمَ الوكيل، دَبّرني، صَرّفني، يَسّر لي). فلمَّا تُقْدِم على آلام، أو مُهِمّات و أشياء صعبة، ويكون في ذاكرتك لهذا الشيء كراهية أو ألم أو ضعف، لا تُعامِل القادم بالماضي؛ لأن مُعاملَتَك القادم بالماضي بعد أن اتخذت الله وكيلًا؛ فيهِ سوء ظن

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨).

بالله، لكن راجع ما هو الشيء الذي سبب ضَعفك وخُذلانك في المرة الأولى، فإذا شَهِدْت على نفسك أن الخذلان في المرة الأولى كان بسبب ضَعف اعتمادك على الله؛ فاتخذه الآن وكيلا.

هذه بعض المواطن التي ورد فيها اسم الوكيل، وقد تبين لنا من خلالها بعض المواقف التي نحتاج فيها إلى التعبد باسم الله الوكيل، وليس كل المواقف؛ فنحن في الحقيقة نحتاج إلى اسم الوكيل بعدد أنفاسنا.

متى نحتاج إلى اسم الوكيل؟

نحتاجه بعدد أنفاسنا؛ فطالما أن لنا شؤونًا في هذه الحياة تحتاج إلى تدبير فإننا نحتاج أن يكون سبحانه وكيلنا عليها ليدبرها، وما أكثر حاجاتنا التي تحتاج إلى تدبير؛ بل نحن نتقلب طوال الوقت في التدبير: تُدبّر نَفسك، تُدبّر أولادك، تُدبّر أكلك، تُدبّر ضيوفك، تُدبّر بيتك، وكلما كثرت حاجتك للتَّدبير كثرت حاجتك للتعبد باسم الوكيل، ولابد أن تعلم أن **هناك ثلاثة اختبارات مُتكررة في حياة العبد:**

١. الأول: {وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ}: إن يمسسك الله بضرهل تعْلم أنه هو الذي مسَّكَ بالضر؛ فترضى عنه في وقت وقوعه، وبعد وقوعه؟ فليس الرضا في وقت وقوع الضر فقط، وانظر إلى مقياس الرضا في حديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-كما صحّ في البخاري: (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى)[1]، فهذه أعلى درجات الصبر، والذي يتصبّر بعد الصدمة الأولى بقليل أفضل من الذي يتصبّر في اليوم الثاني، وهذا أفضل من الذي لا يتصبر نهائيًا، وهكذا فقس.

(١) رواه ابن ماجه في سننه وقال الألباني: صحيح.

والضُّر هذا هو أي شيء يضرك في كل تفاصيل الحياة، ومما لا يُعقل أن البعض إذا كان يمشي فاصطدم بالباب أخذ يَسُب الباب، والآن حين يَصعُب عليهم شيء يقومون بلعنه! هلاّ قلت: (بسم الله)! استحضر الاستعانة يفتح الله لك، لكن كل شيء أصبح مقلوبًا مع الأسف!

٢. الثاني: { فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هو}: ستطلب الكشف مِمّن، هل تعلم أنه لا كاشف للضر إلا هو؟ **وهنا شاهدنا، فهذا يُناسب اسم الوكيل.**

كيف يكشف الله الضر؟ الجواب: أنت توكله سبحانه على كشف ضرك؛ فيُعامِلك بلطفه، **ولألطافه سبحانه صورتان:**

الأولى: صورة لطف محض لا علاقة لك به، فأنت توكلهُ وهو يأتيك بالخير مِن حيث لا تحتسب، وأنت لم تحرّك ساكنًا، يطرق بابك؛ ويأتيك الخير.

الثانية: لطف (التَّسخير)، وهو أن يُسخّر الله - عزَّ وجلَّ- لك أفكارًا، أو أشخاصًا تكون سَببًا في جَريان الرِّزق، أي أن عقلك يكون غافلًا تمامًا عن هؤلاء؛ ثم يُلقيهم الله -عزَّ وجلَّ- في قلبك إلقاءً.

٣. الثالث: {فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ} الزمر: عندما تأتيك النعمة هل ستغتر وتنسبها لنفسك؟ وهذا كقولك : (أنا لدي ميزة خطيرة، لو يأتيني ضِيق يُلقى في ذهني المخرج مباشرة) ، أو كقولك: (جاءتني فكرة) مثلما قال قارون، فإذا أصاب شخص الضر، ودعا الله، إلى هنا قد سار في الاختبارين الأوليين بطريقة صحيحة، {ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً}: إذا آتيناه فكرة، أو سخّرنا له أحدًا يُساعده، ماذا يفعل؟ يقول: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ} يعني أنا، فمثلا يقول: (أنا دائمًا في المواقف قوي ثابت، عندي حكمة) إلى آخر هذه الوصوفات التي يصف الإنسان بها نفسه.

لكن انظر ماذا قال الله-عزَّ وجلَّ-: {بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ} اختبار، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} هذه هي القضية أن أكثرهم لا يعلمون، نحن ندخل في هذا الاختبار بِعدد أنفاسنا، فمثلا يدخل أولادك الاختبارات وتدعو الله أن ينجحهم، فما هو إلا أن يأتيك خبر نجاحهم حتى تقول: (أنا كنت أذاكر لهم، أنا كنت أسهر عليهم)، كل هذا يقال عنه: {بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(١).

مِن أجل ذلك حين يأتي التوحيد يعْلَم العبد أنه يُعامِل الله، وأنّه إذا وكّله - عزَّوجلَّ- على أمره فلن يأتيه إلا كل خير، ومن أجل هذا نقول: انتبه، لا تزدد خبرة وأنت بعيدٌ عن التوحيد، لا تزدد خبرة وأنت لا تتصور أن الله - عزَّ وجلَّ – هو الذي يُلقي في قَلوب العِباد حسن التصرف والحكمة في التعاملات، فلا تتصور أنك حكيم بنفسك، ولا أنك ستكسب أبناءك بِفكرك وعقلك، ولا ستكسب زوجك بمهارتك أو بجمالك أو بحسن تصرفاتك، التَّسديد مِن عند الله، فاتخذه وكيلًا، هو نِعْمَ الوكيل، يعني لو وَكّلتَهُ على نفسك يُسَدّدك أن تتصرف كما يُحب ويرضى.

من نعم الله - عزَّ وجلَّ – أنه يُبَيِّن للعبد في ثنايا حياته أن عنده ثغرة، أنه ناقص وليس بكامل، فلا أحد يتصور أنه (مادمت أنا) فسيصلح الأمر، لا أحد يتصور أنه ما دمت أنا المتحدّث فسيفهمون وسيقبلون - وهذا موجود حتى في طلاب العلم والدعاة إلى الله- فهذا الشعور سيأتي بالطَّامة، وسيأتي الكلام مِن غيرك أكثر ذلًا وتواضعًا لله؛ فيشرح الله له الصدور، ولا أحد يتصور أن فلانا سيصلح بجمالي أو بأسلوبي أو بكلامي أو بلباقتي، والمرأة التي تشعر أنها مَلَكَتْ زوجها ومَلَكَتْ قلبه بمهارتها؛ فسيأتيها في نهاية الأمر ما يفهمها حقيقة الأمر.

ومثل ذلك حين نُطلِق ألسنتنا على أولاد الناس، ونعيب على آبائهم سوء تربيتهم لهم، وننتقدهم كما فعل الناس بالإمام مالك الذي كان شيخ الدنيا في زمانه، وكان له ولد ليس على سلوك

---

(١) حين تُختم الآيات بمثل هذا: {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ}، {لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ}؛ ابحث عن الوصف الذي سبقها، يعني ابحث مَن هذا الذي قال الله-عزَّ وجلَّ-عنه: {لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}. انتبه، فهذا معناه أنه يجب أن تكون ضِد هذا الوصف مِن أجل أن تكون ممن يعْلم. مثل ما ذَكرنا سابقًا في مسألة الأمثال وأنه {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} فعندما تأتيك الأمثال في القرآن وتجد نفسك لا تَعقِلها، معنى ذلك أنك جاهل، وهذا هو الجهل الحقيقي، لأنك في قبرك ستُسأل: مَن ربك؟ ما دينك؟ مَن نبيك؟.

مستقيم، فكان يقول حين ينتقدونه: إن المُربي الله، يعني أن الله هو الذي يربّي عباده، ونحن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله.

ونحن الأمهات نعلم يقينًا أن المُربي الله؛ لأننا نَعجَز معهم، نأتي بهم مِن اليمين فلا يَستجيبون، نأتي بهم من اليسار فلا يَستجيبون، نفعل لهم ما نفعل فيأتون بعكسهِ، وأنتم ترون ما ترون، فهذا كله يجب أن يزيدنا تعلقًا بالله، وتوكلا عليه[1].

إذًا: اسم (الوكيل) من أسماء الله التي نحتاجها بعدد حاجاتنا، فالله-عزَّ وجلَّ- عندما أوجدك في الحياةِ؛ أنشأ لك الحاجات من أجل أن تنشَأ مِنك التَّعلقات والتَّوسلات به، وأنت طوال الوقت تحتاج أن تأكل وتشرب وتنام، وتحتاج أن تنجح في تربية أولادك، وتحتاج وتحتاج وما أكثر حاجاتك، وما أكثر فقرك إلى ربك، وما أكثر ما تخسر حين تجهل أن الله ينشئ لك هذه الحاجات مِن أجل أن يبقى حبل تعلقك به موصولًا، فكم أكرمك الله بهذه الصلة، فلا تجعل الأسباب تحرمك من هذه الكرامة، ولتعلم أن الأسباب خلقه وملكه، وما خلقها إلا اختبارًا لك؛ بل هي أعظم اختبار لك في الحياة: يختبرك الله بالأسباب ليعلم هل تراه من ورائها، أم تجعل كل نظرك منصبًّا عليها ؟! وما ثم وراء هذه النظرة إلا الذل للناس والشقاء!

ولنضرب مثالًا على ذلك: لك أوراق في مكتب فلان، وفلان هذا قاسٍ لا يتعامل مع الناس كما ينبغي، فتفكر مباشرة أن توسط بينك وبينه أحدا، لكن في المقابل هناك تفكير أرقى وأسمى وأليق بكرامتك كإنسان، وهو أن تطلب رب الأرباب الذي لم يجعل لك حاجة عند غيره من خلقه .

ردة فعلك هذه، أو هذه مبنية على ماذا؟ مبنية على تعلق قلبك المسبق، فعلى حسب التَّعلقات تأتي الأفعال، فبعد أن عَرَفْت أنّ أوراقك في مكتب فلان المعروف بصعوبة الوصول إليه مَنْ الذي يَمر على خاطِرَك مُباشرة أنه يأتيك بمرادك؟ إن كان أول مَن يأتي في بَالك هو السكرتير، أو فلان

(١) أتدري لم قال صلَّى الله عليه وسلَّم: ((الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ))؟ لأننا نرتفع عند الله بقدر ما عندنا مِن تعلّق بالله، والمفترض أن أولادنا يزيدوننا ذلًا لله وانكسارًا، وتعبدًا باسم الوَكيل، وذلك بأن نتخذه عليهم وكيلًا ليسددهم ويسددنا في التصرف معهم.

الواسطة الذي تعرفه، وتمَرّره في خاطرك وتقول: (أنا أتذكر بأن لي قرابة عند فلان، وإن شاء الله لا يكون هذا الشخص مسافرًا)؛ فأنت متعلق بالأسباب، وإن كان أول فزعك لله تعالى؛ فأنت متعلق بالله .

ثم الأمر الثاني الخطير هو: بعد أن يفزع قلبك إلى الله؛ مـاذا تظن به؟

كلامنا الآن في اسم الوكيل دائر حول (ماذا تظن به؟) لأن مِن أعظم الذنوب التي يقترفها العبد وهو لم يتحرك من مكانهِ: ذنب سوء الظن بالله، تُوَكَّلهُ على أمرك ثم لا تثق بهِ أنه يَعطيك، أو تَظُن فيه أنه يخذلك! هذا سوء ظن به سبحانه، وهو مِن أعظم الذنوب.

أنت في الماضي خُذِلْت لأنك اعتمدت على نفسك، ووثقت بأنك صاحب خبرة وتفهم، أو أنك لست بجديد على هذا البرنامج، أو أنك لست غرًا في معاملة الناس، فكلما ازددت ثقةً بما عندك؛ أتاك الأمر مِن جهة لم تتوقعها أبدًا، مع أنّ الله-عزَّ وجلَّ-لا يتركك هكذا؛ بل يعطيك إشارات، لكن الشخص عندما يثق في نفسه يصبح أَعمى عن هذه الإشارات، وقد ذكرنا أنّ طريق الهدى يُعرض على كل أحد، لكن هناك مَن استعان واستهدى؛ فأرشده الله، وهناك مَن اعتمد على نفسه ووثق بها؛ فخذله الله.

قد تقول: أمر صعب أن نوكل الله على كل شأن! نقول: ابدأ مع نفسك ببرنامج، ابدأ بالشيء الذي تراه مُهمًّا، بالشيء الجَوهَري في حياتك، مثلًا: صلاح أبنائك، صلاح زوجك، أو صلاح نفسك، نفسك هذه اشكُها إلى الله، واتخذه على نفسك وكيلًا، واطلب منه أن يُهيّئ لَك الظروف، ويسدّدك، ويكون سمعك الذي تسمع به، وبصرك الذي تُبصر به؛ لأنك الآن تبحث عن الحكمة في التصرفات، فنحن نكبر ونرى أن كثيرًا مِن قراراتنا السابقة كانت عبارة عن طَيش، فلمَّا تبدأ تدخل في مرحلة النُّضج، وترى أن كثيرًا مِن قراراتك السابقة كانت طَيشًا؛ ستتمنى الحكمة في القرارات والمواقف، ومِن أين لك الحكمة إذا كنت ستبقى في نفس الطريقة ونفس التفكير؟ لاتتصور أن السِّن سيزيدك شيئًا، لا، السن في العادة عندما يَزيد مِن غير دين يَزيد معه الحقد ويزيد معه الطَّيش، وتزيد القسوة، وذلك بسبب كثرة المواقف مع الناس، فهذا طعنك في ظَهرك، وهذا فَعَل

كذا، والآن بعد كل التجارب الماضية التي عِشتَها عندما تتعامل مع أحد تُعامِله بكمية الأحقاد الماضية، لماذا؟ لأنك تنظر إليه وتقول: (عسى ألاّ تكون مثل فلان الذي فعل بي كذا، أو تصرفاتك مثل تصرفاته...) وتأتي بسلسلة من التاريخ الماضي.

مثال: امرأة عانت مِن أخيها القاسي، فجاء ولدها يشبه أخاها في طِباعِهِ - وهذا أمر لا ننكره أبدًا، فالإنسان عبارة عن طَبائع يُبتلى بها، وعبارة عن عقائد يكتسبها- فكيف ستعامِله؟ هل ستعامِلهُ بالطريقة التي عاملت بها أخاها؟ هل نجحت أصلًا مع أخيها؟ لا، ولو عاملت ابنها بنفس الطريقة لن تنجح، هذا الفشل يفترض أن يزيدها تعلّقًا بالله، فتوكله على الأمر، وتطلبه باسمه **(الفتاح)** أن يَفتح لها مغاليقَ قلبهِ وأن يُسدّدها في التَّصرفات معه.

عندما يأتي التوحيد مع الخبرة السابقة يجعلك تقول: (أنا جرّبت نفسي وتعاملت بعقلي ففشلت، فليس لي إلا الفتاح يفتح قلوب من حولي) ونحن عشنا مواقف رأينا فيها تسلُّط فلان على الناس في تعاملاته، يعني طوال الوقت صوته عالٍ وكلامُهُ كثير، ثم هذا بنفسهِ يأتي إلى شخص ثانٍ ويَتكلّم معه بِأدب، و هذا أمر ليس بيد أحد، إنما هو من فتح الله لهذا العبد في قلب هذا العبد، لا يَضع هذا إلا الله، وهذا مِثل مَن هُزِم بالرُّعب من مسيرة شهر، أي أنّ هذا شيء يلقيه الله - عزَّ جلَّ - في قلب الذي أمامك.

وأنتم تجدون كثيرًا مِن الشَّرِكات سواءً في التغذية أو المطاعم، يتساوى المُنتَج عندهم، لكن هل مع تساوي المُنتَج يُقبِل الناس عليهم نفس الإقبال؟ لا، فهناك أناس يفتح الله عليهم باب الرزق، وأناس يعملون مثل هذا المنتج ويقلّدون اسمه، وأيضًا يُخرجِون مُنتجًا بنفس لون منتجه، ثم لا أحد يقبل عليهم، لماذا؟ لأن الله - عزَّ وجلَّ- فتح لهذا، وأغلق على ذاك.

ملحق هام:

نستطيع القول بأن هناك ثلاث حالات عامة في حياتنا نحتاج فيها إلى التوكيل والتفويض:

الأولى: حالة الخوف الوَهمي المؤدية لإساءة الظن.

الثانية: حالة الخوف الحقيقي.

الثالثة: الحالة التي يقع فيها في القلب شُبهة، أو شهوة.

ولنتكلم عنها بشيء من التفصيل:

الأولى: حالة الخوف الوَهمي المؤدية لإساءة الظن: وهي مِن نزغ الشيطان، لا يكون هناك أمر حقيقي يخيف، وهذا في الغالب يُصاب النَّاس فيه بأمراض نفسية مثل الوسواس والقلق، فهي حالة تَلاعُب الشَّيطان بالإنسان وتَقطيعه لأمنه النفسي، الشيطان يُقَطّع حالات الأمن النفسي التي تعيشها، لأنك وأنت آمِن نفسيًا لن يكون عندك سوء ظن بالله، فلا يرضى لك عدوك أن تعيش بلا ذنوب؛ فماذا يفعل ؟ يُلقي في نَفسك خَوفًا مِن الأمور التي تَدور حولك، فتَنقلب نفسيتك إلى سوء الظن، وتنساق وراءه بالوساوس، فأنت هنا تحتاج أن تعامل الله باسمه الوكيل فتفوّض إليه أمرك تفويضا تامًّا.

كيف تعرف أنك الآن في سوء ظن ؟ الجواب: حين تجد نفسك داخل أحد أمرين:

إما الخوف من المجهول، أو الخوف من المَعلوم الذي ليس له حقيقة .

ومن أمثلة الأول:

- يفكر ماذا سيحصل لأولاده غدًا؟ ماذا ستفعل زوجاتهم به غدًا؟! وربما أولاده لم يبلغوا الحلم بعد أثناء هذه الهواجس!

- يكتب مقالة طويلة عما سيحصل في الاقتصاد العالمي في عام ٢١٠٠، وأولادنا في أَي الدول سيعملون، مع العلم أنه في ذاك العام سيكون في قبره، ولكنه لم يجد ما يتكلم فيه إلا وحي الشيطان؛ فتكلم!

المستقبَل بيد الله، فتوسّلوا إليه ينزل البركات، لكن القوم لِجَهلِهم بربهم تعلقوا بأنفسهم وبأفعالهم.

- يسألك شخص معك في درس عن سكنك وفي نيته أن يوصلك معه؛ فيأتيك من المخاوف ما يأتيك: لماذا يسألني أين أسكن؟ ماذا يريد أن يعرف عني؟ إلى أن يأتي المرض النفسي الذي يُسمّى بـ "نظرية المؤامرة"، يعني: يصل الإنسان لِمشاعر بأن كل الناس حوله يتآمرون عليه، وهذه مَشاعر وأمراض موجودة، والناس لا يشعرون أنها أمراض!

- تنام في الليل وتتذكّر أنّ فلانًا يريد أن يُقَدِّم فيك شكوى، أو يريد بك سوءًا، فتبقى طوال الليل قَلِقًا تنتظر الصباح مِن أجل أن ترى ماذا فعل!

ولقد كان يكفيك مؤونة هذا التفكير وهذا العذاب علمك بأنك تحتاج في لحظة تذكرك لهذا المَخوف، أو هذا الكَدر، أو هذا الشَّخص الذي هو بمثابة البلاء عليك، إلى أمرين معًا:

١. إلى سرعة الفَزع إلى الله أن يرد الشر عنك، وتذكير نفسك أن الله مالِك الملك بيده الخير وهو على كل شيء قدير.
٢. قوة الاستعاذة بالله من الشيطان؛ لأنه لا يُلقي في قلبك هذهِ المخاوف إلا الشيطان.

إذًا؛ الكلام هنا عن الوضع الذي تكون فيه هادئًا وصفحتك صافية، وفجأة يلقي الشيطان في قلبك الخوف أوالحزن، يُوهِمك وينزغك بأوهام، ويأتيك بأفكار تجعلك تخاف مِن المستقبل، أو مِن المجهول، أو مِن أحد في ماضيك، أو أحد محيط بك، وأحيانًا تأتيك خيوط بعيدة عن بعضها، فيُضَفِّرها لك، ويضبط لك الصورة كأنها أمامك، أو كأنها خبر في جريدة، وتجد نفسك تفزع وأنت

في مكانك، وبعد ذلك ترى أن هذه كلها خيوط عنكبوت، وأنه لا شيء مِن هذا حصل، ثم لو فرضنا جدلًا أن هذا الأمر حقيقة، فما الذي ينجيك منه؟ مباشرة افعل فعلين: افزع إلى الله مفوضًا له الأمر الذي تخافه، واستعذ بالله من الشيطان.

ومثال الثاني: ربط المعلوم ربطًا وهميًا؛ فتكون له تجارب سابقة سيئة؛ فيربط ما أمامه الآن بما حصل له سابقا، ويبقى في دائرة مِن سوء الظن تشعره بأنه لا يأتي مِن الله إلا سوء.

في تجاربك الماضية فَتِّش في نَفسك، فتش أين كان قلبك؟ وأين علمك عن الله؟ وكيف تقرأ النقاط التي تَراها سيئة؟

عندما يَنضُج الإنسان ومعه توحيد يقول: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ}[1] فهذا شخص يرى أنه لم يأته مما مضى كله إلا الخير، وأنّ الله عامله فيه بحلمهِ، وستر عليه، كان لاهيا وأخذته الدنيا ولم يأخذه الله؛ بل أمهله حتى علَّمه وفهمه عنه، وحتى جاءته لحظة توبة وانكسار!

كم مِن المرات ذهبنا للحج ولا نعرف ما قلنا فيه، لكن ربي عامَلَنَا بحلمه؛ فحججنا واعتمرنا ونحن نفهم ما نقول، وكم صلينا ونحن لا ندري ما الصلاة، وهي أثقل ما تكون علينا، وأمهلنا الله فصلينا ونحن نفهم ما نقول، أليس هذا كُله نِعَمْ مِن الله-عزَّ وجلَّ-؟ لماذا إذًا النَّظرة السيئة؟ إنما هذا مِن فِعْل الشيطان[2].

---

(١) [النمل: ١٩]

(٢) قد يقول قائل: (لكني استعذت بالله من الشيطان الرجيم، وقلت الأذكار)، نقول: صحيح، قولك للأذكار مِن أهم العوامل، لكن هذا العامل لابد أن تفهم جيدًا بأنه مِثْل السَّيف، والسَّيف بضاربهِ، يعني ماذا تحتاج؟ أن تملأ نفسك مِن المعاني، فهناك فرق كبير عندما تقول: (حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) سبع مرات وأنت لا تدري ماذا تقول، وبين أن تقولها وأنت تشعر حقيقةً أنك مُوَكِّل أمرك لله.

الثانية: حالة الخوف الحقيقي: وهذا الخوف له أسباب كثيرة:

قد يكون بسبب تجربة جديدة، تقدم على أمر جديد بالنسبة لك؛ فيأتيك من الخوف ما يشعرك بأن قلبك قد اعتصر، أو قد يكون هذا الخوف بسبب تجربة سابقة لك مخيفة تريد أن تخوض مثلها الآن؛ فتجد أنك تدخلها بِنَفس النَّفسية الأولى، أو غير ذلك من الأسباب.

ماذا تفعل في مثل هذه الحالات ؟

الجواب: تحتاج مباشرة إلى هذين الأمرين:

١. أن تَشُل تفكيرك تمامًا، لأنه في لحظة الإقدام على أمر جديد يَضعك الشيطان في مَخرطة، وقد لا تستطيع حتى أن تَقف على قدميك مِن كثرة ما يرتع الشيطان في داخلك، فأوقف تفكيرك تمامًا، واجعل كُل ثُقلَك على فِعْل التفويض.

٢. ثم تطلب مِن وَكيلك أن يُلهمك ويُرشِدَك الخطوة المناسبة، وسترى كيف يُهيّئ لك أسبابًا لإصلاح الحال لا تكون في حسبانك.

أمثلة:

- أريد أن أنتقل مِن بيت إلى آخر، وفي ذهني قائمة عريضة من الوساوس والأفكار عن أن فلانًا انتقل من بيته ثم مات، وفلانًا انتقل من بيته وحصل له كذا، فتذهب إلى بيتك الجديد وفي ذِهنك هذه الخريطة الذَّهنية كلها، وتشعر بأنك خائف منه على قدر ما يمكن أن تفرح به، وهذه مشاعر موجودة حقيقةً، وأحيانًا كثيرة لا يتمتع الذي بنى البيت به، ويتمتع به أولاده الذين لا يحملون هذه المشاعر، لأنه قد أصبح بالنسبة له هَمًّا كبيرًا !

ماذا تفعل لترتاح من هذا؟

شل تفكيرك، ووكِّل الأمر لله، أوقف الوساوس، وقل: أنت يا رب الذي تنزل البركات على البيوت وعلى الأبناء والأزواج، فأنزل بركاتك.

- تتزوج المرأة بزوج لا تعرف ما هي نفسيته، وقد يكون في قلبها خوف منه، وتريد من قلب زوجها ميل وعاطفة، وليس شرطًا أن يكون زوجًا جديدًا؛ بل ربما يتغير الزوج بسبب ظروف أحاطت بالحياة، فماذا تفعل؟

توكِّل الله على إصلاح قلبه، توكِّل الله أن يعود به إليها عودًا حميدًا، ومِثله الأولاد إذا رأت أنهم قد تشتتوا توكِّل الله أن يرُدّهم إليها ردًا جميلًا، فهو مَالِك قلوبهم جميعا، وهو مالك كل شيء.
إذا علِمْت أنّه سبحانه مالِك كل شيء، وأنه الغني الكريم الذي يعطي ولا ينقص عطاؤه من ملكه شيئًا؛ فما الذي يجعلك تطلبين إصلاح الحال من الفقراء؟! لو جِئتِ لهذا الزوج الذي تغيّر عليكِ، وطرقتِ بابهُ، وقلتِ: (تعال نتفاهم)؛ فهذا التفاهم الذي هو حَلٌّ في العادة قد يضع حَاجزًا جَديدًا وكبيرًا بينك وبينه، لأنك في النقاش ستقولين كلمة وهو يقول كلمة، ثم تخسرون بعضكم مِن جديد، وتعيدون النقطة مرة أخرى إلى بدايتها، وهذا لا يعني أن لا نتفاهم؛ بل يعني أن نفهم الفاصل، وهو أنه لا بد من التفويض قبل أن نتقدم لأي خطوة.

قد يقول لك الناس حين تريد الدخول إلى تجربة قد فشلتَ سابقًا في مثلها: انظر إلى العيوب التي كانت في التجربة الأولى وتَفادَها؛ فتتفادى خطأً ارتكبته في المرة الأولى ومع ذلك تفشل التجربة الثانية، فتعيد الكرة وتتفادى أخطاء المرتين؛ لكن تظهر مشكلة جديدة، فهذا ولا بد سيجعلك تتساءل وتقول: جربت أن أعتمد على نفسي، وجربت أن أضع لنفسي خريطة سَلبِيات وإيجابيات، وكل مرة أدخل فيها يفاجئني أمر لم يكن في الحسبان ولم يكن ثغرة في المرَّة الماضية؛ فماذا أفعل ؟

الجواب: عندما تُقدِم على شيء أنت خائف منه انزع مِن نفسك الثَّقة به، لا تجعل ثقتك بأنك ستتفادى الأخطاء التي مَضت ومِن ثمَ ستنجح؛ لأنه قد يكون تفاديك للأخطاء السابقة هو بنفسه يشكل خطأ في هذه المرة، و مثال ذلك مايقع في الزواج الثاني الذي يعقب زواجًا فاشلًا:

مثلًا امرأة تزوجت وفشلت لأنها كانت عاطفية تتصل وتسأل عن زوجها كل ساعة، وانتهت هذه التجربة، فجاءت التجربة الثانية وعاهدت نفسها أنها لن تتصل، فطلّقها لأنها مُهْمِلة، فالذي تفادته بعقلها أصبح هو سبب المشكلة!

وهذا الشيء يحصل حتى مع أولادنا، فأول ولد يأتي نَشُدّ عليه ولا نقبل أن يفعل كذا وكذا، وبعد ذلك يفسد الولد لأننا شَدّدنا عليه، فنأتي للثاني ونعطيه؛ فيفسد لأننا أعطيناه، فماذا نفعل حيال ذلك ؟

حين تقدم على ما تخاف منه بسبب تجربتك السابقة عنه لا تدخله بنفس النفسية الأولى، اعتبرهذه التجربة كأنها تجربة جديدة تمامًا ليس لها علاقة بالأَولى، ارم وراء ظهرك كل ما مضى، **ثم قف بَين يَدَي الوكيل**، ووكّله أن يُصلح لك أمرك، وأن يسددك ويوفقك ويشرح صدرك، وأن يُنير قلبك وطريقك لتصل إلى ما تريد؛ لأنك حين تمشي بين الناس تحتاج إلى نور، فمثلا في موقف ما ترى أن هذا ظالم وذاك مظلوم، وفي النهاية يكون الاثنان ظالمين، أو الاثنان مظلومين، وأنت لا تعرف، فلا يوجد طريق إلا أن تستهدي الله، يقول تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} أحييناه بنفسه، والناس حوله ماذا سيفعل بهم؟ {وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}، فأنت في أَمَسّ الحاجة حين تتعامل مع الناس إلى أن يكون معك نور، وسترى بعدها كيف تتهيّأ لك الأسباب مِن أجل صلاح الأمر، وسترى كيف يفتح لك وقت التعامل مع الناس، و اسم (الفتاح) من الأسماء العظيمة التي تنفعنا أثناء التعامل معهم، انظر مثلا إلى أولادنا كيف لا يتحملون سماع أي كلام منا، ويروننا معقدين؛ فلو جلسنا طوال الوقت نفكر بكلامهم يصبح هذا مانعًا لنا من أشغالنا، ومن دروسنا؛ إنما نحتاج أن نعاملهم باسم الله الفتاح، فمِن معاني اسم الفتاح أنه- سبحانه

وتعالى- يفتح القلوب، والفتح ملك له وحده، فالقُلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فنوكله سبحانه أن يفتح لنا قلوبهم، وأن يزرع فيها الإيمان.

وهكذا؛ كل الذي تخاف منه وأنت مُقْدِم عليه، ولا تعرف ما هو بابه، ولا تعرف كيف تتعامل معه؛ اطلب مِن الوكيل الذي وكّلته أن يتولى الأمر فيه، **واعلم أن اسم الوكيل وراءه صفات، منها: أنه سبحانه فتاّح، وأنه عليم، وأنه حكيم، وأنه رزاق، وأنه غني مالِك لكل شيء، فإذا كان وكيلك غنيًا فتاحًا عليمًا حكيمًا؛ فهل تريد وكيلًا دُونه؟** لا أحد يتخذ من دونهِ وكيلًا، فقط قِف عند بابه- سبحانه وتعالى- ووَكّلهُ أمرك، فإذا وكّلته أعطاك، لكن المهم في كل المسألة أن توكّلهُ ولا توكّل غيره، ولا حتى نفسك (وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ).

ملاحظة مهمة:

لتنتبه هنا إلى أن ما يخيفك يختلف عما يخيف غيرك، وقد يستغرب الآخرون خوفك من أمر ما هو بالنسبة لهم سهل يسير؛ فلا تلتفت لهذا؛ لأن هذه الأمور نسبية، فالله-عزَّ وجلَّ- ابتلاك أنت دَون غَيرك بالإقدام على هذا الأمر؛ لأنّ رِفعَتَك من هذا الباب، يعني أنت ترى هذا الأمر مخيفًا أو صعبًا؛ فتبتلى به، وغيرك يراه يسيرًا وسهلًا ولا يبتلى به، لماذا؟! منزلة في الجنة لن تَبلغها إلا حين تمر على هذا الصَّعب؛ فتتعلق بالله، لأنه لو لم يكن صعبًا لم يحصل عِندك التَّعلق، ألست في الدنيا تُختبر ومنزلتك في الجنة على قدر نجاحك في الاختبار؟ يجب أن تفهم هذه المعلومة جيدًا، حين تكون في الثانوية العامة هل ستُختبر في منهج الثالث المتوسط؟ لا، لن تُختبر في منهج بسيط عليك، بَل تُختَبر فيما يَصعُب عليك، وهكذا الاختبار يأتيك مِن الله في الأمر الذي يصْعُب عليك.

ما هوَ النجاح في الاختبار؟ النَّجاح في الاختبار أن تتوكل بكل ما تَملِك مِن قوة عليه تعالى، لكن هذا الأمر لوحده لا يكفي، لابد أيضًا مِن الذي يقابله وهو أن تترك التوكل على أي أحد غيره، لابد من التوحيد، ومن أجل ذلك تقول: (أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ) كل شيء صغيرهُ وكبيرهُ (وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي

طَرْفَةَ عَيْنٍ) فأنت تفهم أن شؤونك هذه لا يصلحها إلا الله، والله-عزَّ جلَّ-حين يصلح لك شؤونك مِن دون طلب يَختبرك بالشكر، وحين يترك لك بَعض شؤونك فيها ثغرة فلأجل أن تكون هذه الثغرة سببًا لِتَعليتك وتَرقيك عنده.

نصف هذا الأمر باسمين من أسمائه- سبحانه وتعالى-: (المنان) و (الوكيل):

اعتبر حياتك مثل البناء: بَمَنّهِ سبحانه كمَّل لك كل جدرانك، فأنت سَويّ في صحتك، سَويّ في أعضائك، سَويّ في حياتك الاجتماعية، لك والدِيْن ولك أسرة، هذا كله مِن المنّ، لأنه أعطاكه من غير سؤال منك، لكن لابد أن تبقى ثغرة في البناء، الثغرة هذه التي في البناء عامِل الله فيها باسمه الوكيل، وكِّلهُ أن يَسدّها لك، ولنقل مثلًا أن هذه الثغرة بطول المبنى، يعني بطول الحياة، في كل مَرَّة تضع فيها لَبِنَة، ثم تترقى تريدها أن تكتمل، فيبقى تَوكلك عليه وطلبك منه إلى أن تُسَد كل ثغراتك، ولو سددتها وأنت متوكل عليه نَجحت، ولو جئت في ثغرات وتعلقت بنفسك أو بغيرك، ستكون في هذه الثغرة رَسَبت، فتبقى هذه خَانة فيها مُشكلة، ويُعاد عليك الاختبار مرة أخرى إلى أن تسدّها بقوة التَّوكل عليه، فَيسدّها الله عنك، ويأتي الذي بعدها، والذي بعدها، إلى أن تنجح بأن تَسد كل ثغراتك قبل أن تموت ، أو تترك مِن ثغراتك أشياء لم تتوكل فيها على الله-عزَّ وجلَّ-، وبِذلك يأتي النَّاس درجات في منزلتهم في الجنة على قَدر قَوة تعلقهم وتوكلهم على رَبهم.

مِن أجل ذلك انظر إلى السَّبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ((هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ))[1]، فأصبح التَّوكل هو سَد هذه الثغرات، فلو استطعت أن تَسُد كل ثغراتك ولا يصبح في قلبك أي التِفات لغيره، تكون وصلت إلى هذا الحَد الأعلى الذي فيه دخول الجنة بغير حساب، ولو أقل فأقل، لكن لا تنس أن غالب مَبنَاك بُنِيَ بمَنّهِ وكرمه، فهو الذي مَنَّ عليك، وهو الذي يعطي النَّوال قبل السؤال، كل هذا مَنٌّ مِن الله،

(١) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ٢١٨)

ثم يُريك هذا الجزء النَّاقص مِن أجل أن تأتي منك التوسلات والتعلقات، وفي هذا الجزء الناقص يَدخل ويخرج الشيطان، أما باقي البناء؛ فاختبارك فيه صعب وهو (الشكر)[١].

أمَّا مقاييس الثغرات فتختلف مِن شخص إلى آخر، أمر يكون بالنسبة لك صعبًا ويكون بالنسبة لغيرك سهلًا، مثال ذلك:

شخص ابتلي بشرب الخمر مثلًا، هذا بلاء، وأنت صحيح سليم، فتأتيك مشاعر تقول: (ما الذي دفعك إلى هذا؟ لماذا تفعل في نفسك هكذا؟) أنت تشعر أن قرار ترك الخمر سَهل، لكن غيرك بالنسبة له هذا قرار صعب، وفي هذا الموقف تَفهم الحديث ((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً))[٢]. كيف تفهمه؟

بأنّ هناك مِن الناس- نسأل الله أن يسلّمنا – مَن يشرب ويسكر وبعد ذلك أول ما يصحو يبكي، ويرى أنه قد فعل جريمة، ويشعر بالاكتئاب، وبعد ذلك يعتمر ويفعل ويفعل، ثم يعود مرة أخرى للذنب، ففي مثل هذه الحالات اسألوا الله السلامة، لا يمر في خاطركم أبدًا أي سؤال آخر غير سؤال الله السلامة، لماذا؟ لأن هذه حالات ابتلاء، أنت ترى أنه عندما وصل إلى هذه الحال من البكاء والندم إذًا انتهى الموضوع، ولن يعود مرة أخرى لنفس التجربة، لكن هناك أناس ابتلوا بثغرات، وبتسلط الشيطان، وبدفعه لهم وبتغييب عقولهم في لحظة، وبأشياء لا نعرف وصفها، المهم في النهاية يقع في الذنب مرة أخرى، فأنت السليم من هذا البلاء ترى أن الأمر مجرد أن يأخذ قرارًا بعدم العودة، لكن هو مُبتلى، فالشيء الذي تراه سهلًا هو عنده صعب، فدع هذه المقاييس،

---

(١) هذه المشكلة الأخرى وهي الشُّكر الذي قد يصل إلى درجة أن يكون مغفولًا عنه، فمَن مِنّا الآن يقول: الحمد لله أن لي نسبًا معروفًا؟ مَن منا يقول: الحمد لله أن لي بيتا وأمًا؟ نحن ننتقد البيت بكل تفاصيله، إلى آخر ما نَجد في نفوسنا مِن كُفرانٍ لِنعمِة الله خفي لا نشعر به، كَم مِن النساء ينظرن إلى أنفسهن في المرآة فيحتقرن أنفسهنّ ويقلن: يا ليتني مثل فلانة في عيني، أو في أنفي، أو في وجهي، أو في بشرتي، أو في بدني، كل هذا موجود، فمِن أجل هذا لابد أن تُفَكّر في أنّ الله يُعامِلك في حياتك كلها بأسمائه وصفاتِه، فانظر إلى نفسك الآن تحت ظل أي اسم تعيش: فهو المنان، المعطي، الغني، الحميد.

(٢) رواه الترمذي في سننه وصححه الألباني.

ومثله في الطاعات؛ فمثلا في حفظ القرآن لا تقل: (كل الناس قادرون على حفظ القرآن، وأنا منذ زمن أفعل وأفعل ولا أستطيع)؛ فأنت جهادك هنا ليس في أن تحفظ؛ بل جهادك في أن تبقى تريد أن تحفظ وتجرّب وتعيد، وتنسى وتعيد مرة أخرى، وتبقى على الطريق، هذا هو المطلوب منك، ومن هنا يأتي أجرك، وذاك الشخص الذي يسر الله له أن يحفظ القرآن يأتي أجره من حفظه ونشره وتعليمه، وهكذا تجد شخصًا يأتي أجره من قيام الليل، و آخر يأتي أجره مِن قوة الندم والانكسار على ذنبهِ، فلا تفكر كيف فتح الله لكل شخص بابًا، لأن هذا أمر فوق أن يُطاق في التفكير، ثم حين ترى مثل هذا تصبح مالكًا للسانك؛ فلا تتجرأ أن تقول: (ربنا سيُدخِل هذا الجنَّة، وهذا لن يُدخله الجنَّة، وهذا كيف سيُدْخله الله الجنَّة)؟ ليس هذا من شأتك، ففي داخل القلوب مِن البلاءات والاختبارات والنجاحات التي قد لا تراها، ولهذا؛ حين تَمُرّ على شخص مذنبًا كان أو طائعًا لابد أن تتخلى عن الحُكم عليه، نوع من أنواع العبادة أن تتخلى عن أن تحكم على أحد[1].

سؤال: كيف لي أن أعرف ثغراتي حتى أسدها؟

الجواب: أما الثغرات وبَيانَها؛ فالله-عزَّ وجلَّ- تَكفَّل لك بهِ، كيف؟ {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}[2] لابد أن يَفتِنَك، لابد أن يبتليك في مسائل، وطبعًا ليس في كل شيء، لو كان في كل شيء لَهلَكنا، لكن هناك أشياء مُعَيَّنة يَبتَلينا الله-عزَّ وجلَّ-بها، مِن أجل أن يَكشِفنا لأنفسنا، والمطلوب منك حين تكتشف نفسك أمرين:

١- لا تتجاهل.

٢- لا تبرر.

---

(١) قد تقول هنا: ماذا عن شخص مات على طاعة، أو مات على معصية؟

أما الذي مات على طاعة؛ فنحن نرجو الله، نقول إن هذا صاحب دين وأخلاق والله-عزَّ وجلَّ-أرانا فيه حسن الخاتمة، لكن المشكلة أنه حين تذكر حسن خاتمة شخص، ويكرر ذلك تبرد القلوب عن الدعاء له بالمغفرة؛ لذلك من الأفضل أن لا يقال هذا إلا للأقرباء لتطمينهم.

وهذا الامتناع عن الحكم لا يقال في حق الكافر؛ لأنه معلوم لنا أن الله قد أوعد من مات على كفره بالنار.

(٢) [العنكبوت: ٢]

فهاتان مشكلتان تأتيان بعد اكتشاف أمراضنا: التجاهل أو التبرير.

مثال: الكِبر هذا مرضٌ في القلب، والإنسان لا يعرفه عن نفسه، وقد يقول: (أنا متواضع وأحب المتواضعين) وبعد ذلك يختبرك الله في مواقف، وتظهر بالمقياس أنك متكبر، فإن لم تبالِ فهذا **تجاهل**، وإن قلت:(هؤلاء الناس لا ينفع معهم إلا هذا التعامل، ولابد أن أفعل معهم هكذا مِن أجل كذا) فهذا **تَبرير**.

ولو نتكلم مثلًا عن الخدم: الخدم هؤلاء قد يشكلون الطريق السريع إلى النَّار لكثير من الناس، مِن جهة مشاعر التَّكبُر والاحتقار، بالإضافة إلى الظلم وغيره، بل هناك قاعدة عند النساء مع الخدم، تقول أنهم لا يمشون إلا إذا عاملتهم هكذا، مع أنَّك لو قَرأت في السَّيرة عن سنة النبي- صلى الله عليه وسلم- في مسألة تعامله مع الخدم وتعامل الصحابة معهم وتعامل التَّابعين سترى أن طريقة التعامل الصحيحة تخالف ما يقولون، وحين تنبه على ذلك يقال لك: (هؤلاء صحابة ، وذاك النبي- صلى الله عليه وسلم-)!

قد تقول: لكن التعامل معهم بهذه الطريقة لا يأتي بنتيجة، فنقول: بما أن الله ابتلاك بهم؛ فاختر أحد فعلين: إما أنك ترى أن بإمكانك الَتعامل معهم بما يرضي الله، فأكمِل معهم واصبر على عُيوبهم، لأنه لن يأتيك أحد يسير على الخط المستقيم، أو رُدّهُم حتى لو خسرت مالك؛ فخسارة مالك أفضل لك من النَّار.

الثالثة: الحالة التي يقع في القلب فيها شُبهة، أو شهوة:

هذه النقطة أصعب من النقطتين السابقتين، وهي موطن مِن أعظم مواطن التَّفويض، لأن عَدم صلاح القلب فيها سيؤدي للهلاك، ولنرَ معنى الشبهات، و معنى الشهوات:

الشُّبهات: تعني أمرًا يُشكِل عليك، يُشَبه عليك فيه، سواء في صفات الله، أو في القرآن، أو يُلقِي أحد في قلبك شبهة عن دين الله، أو تأتيك شبهة في أقدار الله، تأتيك مثلا أفكار تقول: (حرام هؤلاء

المسلمين يحصل لهم هكذا)، ومِن هذا الكلام الذي ليس له في الحقيقة معنى، ويجاب عليه بكل سهولة، لكن الشيطان يُلقي هذا في قلبك.

والشهوات: تعني أمرًا محرمًا ومع ذلك يلقي الشيطان في قلبك حبه، وقد يكون وقع حبه في قلبك بسبب أنه مَرّت عليك لحظة من اللحظات عبتَ فيها على أحد كونه يحب هذا المنكر؛ فَتُبتَلى به .

ما الحل في مثل هذا؟

لا ينزع مِن قلبك هذه المصائب إلا أن تُفوِّض أمرك إلى الله، وتشتكي نفسك إليه سبحانه، أي: تجمع بين هذين الأمرين:

١- الفزع إلى الله أن يُصلح لك قلبك.

٢- و مَقتْ النفس، يعني كراهيتها في لحظة التَّفكير في هذا الأمر[١].

أسئلة مهمة وأجوبتها:

سؤال: هل يكون القلق مفيدًا من جهة كونه يُوَلِّد قوة استعانة؟

الجواب: لن يكون القلق مفيدًا؛ بل استمراره يطحنك، ويدخلك في سوء الظن؛ لهذا توكل على الله أول ما يأتيك ما يخيفك وفوض الأمر إليه، وكلما ذكرك الشيطان بالقلق ذكر نفسك أنك وكلت الله، وأن عليك أن تطمئن لفعله، فهذه هي العبادة، واترك عنك النَّاس مهما قالوا عنك (بارِد المشاعر).

(١) ملاحظة: قد تأخذ الشهوات الإنسان أحيانًا لدرجة أن يقول: (يا لَيت رَبي حَلَّل هذا الأمر المحرم)! بدلًا من أن يمقت نَفسه ويرى أن هذا شيء حقير يجب أن لا يتصف به، وهذا كثير اليوم، ونَسمع مثله من الشَّابات حين تَثور فيهن ثَورات الشهوة والحاجة؛ فَتجدهن يتكلمن بكلام غير منطقي، لكن الشيطان تَغلَّب عليهن.

القَلق ليس هو الحَّل، إنما القلق مِن الشيطان، لابد أن تتصوروا {لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا}[1]، لا بد أن نتصور أن خطة الأحزان هي خطة عدائية تجري في دمائنا !

ما وصف هذه الخطة؟

كلما أقبلنا على أمر يجعلنا الشيطان لا نرى إلا جانبه السلبي، خصوصًا ونحن نكبر في السِّن، يعني كلما كبرنا وزادت خبراتنا الماضية، إذا لم نكن مليئين باعتقاد كمال صفات الرب؛ فإن تجاربنا هذه ستزيدنا قلقًا، وانظر للصغير كيف هو جَريء على المواقف والأحداث، أما الكبير فأكثر تَريّثًا، وليس شرطًا أن يكون هذا مِن عقل، فقد يكون أكثر تريثًا لأن شاشته سوداء، فكل التجارب عنده سيِّئة، وأحيانا تجده حين ينوي السلام على أحد يقول في نفسه: (لو سلّمت على فلان سيظن أني محتاج له) ! لماذا هذا التفكير؟ لأنه قد سلم سابقًا فقيل له: (ماذا تريد)؛ فوضع هذه التجربة في ذِهنه.

مِن أجل ذلك عندما نَكبَر مِن دُون توحيد وتعلّق بالله، تزداد حساسيتنا المُهْلِكة - وليست النافعة- لأن الحساسية النافعة هي التي بينك وبين الله، فتشعر مثلًا أنك أذنبت، وأنك قصرت في الشكر، تشعر أن الله -عزَّ وجلَّ- أَنعَم عليك، فكل حساسيتك بعلاقتك مع الله: سواء ذنب، خطيئة، نِعمة، لكن الحَساسية عندما تَنقلب لتصبح بَينك وبين الناس وكلما ازددت عمرًا ازددت حساسية؛ فهذا بسبب سوء الظن بالله[2]، بسبب أنك سِرْتَ في الحياة وأنت لا تَعلم عن الله، وتَراكمت التَّجارب السيئة، حتى أصبحت لا تملك تفسيرًا لمَ يبتسم لك الناس وأنت لا تبتسم لهم؟! لم يكلمك الناس بالطيب من القول وأنت لا ترد عليهم؟! لم أصبحت بكل هذا العنف؟!

أصبحت لا تملك تفسيرًا لهذا كله بسبب تراكم التَّجارب السيئة التي لم يصاحبها عِلم عن الله، وعن أن كل شيء رزق، وأنه حتى الكلام الطيب الذي تسمعه هذا نوع من أنواع الأرزاق، الإيمان العظيم هو الذي يجعل الإنسان لا يَطلُب إلا مِن الرَّزاق، ولا يَنتَظِر إلا مِنه، لا يَحمد النَّاس على

---

(١) [المجادلة: ١٠].

(٢) والنساء أكثر عُرضة لهذا الأمر، فتأتي مسائل الاكتئاب وغيرها.

عطاء الله، ولا يذمّهم على ما لم يؤتهِ الله، أليس هذا ما جاء في الحديث: ((إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسُخْطِ اللهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يَؤْتِكَ اللهُ، إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ إِلَيْكَ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كُرْهُ كَارِهٍ))[1].

سؤال : أحيانًا يكون قلقي ليس مِن الله؛ بل مِن ذنوبي، أخاف أن يعاقبني الله بسبب ذنوبي؟

الجواب: معلومة أن الذنوب لها أثر على الحياة معلومة صحيحة مائة في المائة، فالذنوب مؤثرة على الحياة، لكن وكيلك عندما تكون إليه مُضطَّرًا، وبين يديه منكسرًا لا يمكن أن يَخذِلَك في هذه اللحظة، وإذا كان الكافر لو دعا دُعاء المضطَّر استجاب الله له وهو كافر، فكيف بمن اتخذ الله وكيلًا هل سيخذله لذنوبه؟! هذا نوعُ إساءة ظنٍ بالله، ولو نظرنا إلى الكرم في أَخلاق البَشر لرأينا أن الكرماء لا يردّون منَ يَطرق بابهم في لحظة الحاجة؛ شخص كريم قد بَطِرت عليه في لحظة وقلت له مثلا: (كل مرة تأتينا بنفس الطعام؟)، وبعد ذلك أتيته يومًا جائعًا، وطرقت بابه، وقلت له: أعطني، هل سيقول لك: أنت في المرة الماضية قلت كذا وكذا؟! اللئيم يردك وأنت محتاج، أما الكريم فيأبى عليه كرمه فعل هذا، قد يعاتبك في الرَّخاء، أما في الضيق فلا، وإذا كان الكرم يمنع هذا؛ فهل تعلم أكرم مِن الله –عزَّ وجلَّ-؟!

لسنا نعلم أكرم منه- سبحانه- فلا تتصور أنه سبحانه يخذلك عندما تتخذه وكيلًا، وتقف بين يديه منكسرًا، كيف وهو ربك؟! سيتركك لِمَنْ؟! حتى لو كان بينك وبينه ذنوب؛ فأنت محتاج ومضطر، وليس لك غيره تلجأ له، ليس عِندك حَل آخر، وإلا ستذهب لمن؟!

إن كنت ترى أن ذنوبك حائلةً بَينَك وبينَ عَطاء الله؛ فالزم الاستغفار، وتوكل عليه، واعلم أن اللجوء إليه سبحانه، والانكسار بين يديه أحد أسباب كفارة الذنوب، والطَّلب منه بنفسه عبادة؛ ولهذا لا تطلب طلب المستغني؛ بل اطلب طلب المنكسر الذليل المعترف بنعم الله عليه.

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم، غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ عَمْرٍو، تَفَرَّدَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ أَبِيهِ.

سؤال: هذه الدقائق التي أشعر بها بمشاعر الاضطراب؛ هل هي صبر سأؤجر عليه، أم قلق سأؤثم عليه؟

الجواب: هذه فِتنة عُرِضَت عَليك، فالشَّيطان يُصوِّر لك المسائِل بِصورة أنه سيحصل من السوء كذا وكذا، لذلك عليك أن تدفع التَّفكير، وأن تتصَبَّر عن إساءة الظَّن بالله، وقل: ما يأتي مِن رَب الخير إلا الخير. صف الله بالكَمال، وهذا هو الصَّبر الذي تُؤجر عليه، أما استسلامك وفَتح باب الخيال، ثم الاضطرابات التي تحصل ولحظات الخوف، هذا الذي يُخشى أن يكون قلقًا وسوء ظن بالله.

سؤال: ماذا نَفعل في النَّاس المصاحبين لَنا في الحياة الذين يُترجِمون كل توكل وطمأنينة على أنها بُرود وإهمَال؟

الجواب: هذا مِن البلاءات التي تُعرَض عليك، وكما ذَكَرنا في قَواعِد بناء النفس: (احذر عدوك) ومِن أعدائك الصُّحبة، فعندما تَجد نَفسك مستعيذًا مستغيثًا متوكلًا على الله؛ لابد أن يأتي من يُصوِّر لك هذه الصُّورة على أنها شيء سيّء، فاعلم أنّ هؤلاء ابتلاء، كما أن نَفس المَوضوع ابتلاء، فتصرفك الصحيح تجاه نفسك هو أن تدافِعْهُم، وتقول: حسبي الله ونعمَ الوكيل، و تصرفك الصحيح تجاههم هو أن تكلِّمهم عن الله، فهذه الحالة هي الحالة التي أخبرنا الله تعالى عنها فقال: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[1].

الشيطان له أولياء مِن البشر منتشرون، فَيُخَوّفك الشيطان بأوليائِهِ، يعني الذي لا يستطيع أن يُسَمِّعك إياه يَؤزّ أولياءه ليسمعوك إياه، فكُن نافعًا لنفسك ولهم، لا تكتم في نفسك مشاعر التَّوكل، بل أعلِنْها وتكلّم بها، قل: أنا على الله متوكل، وما يأتي من الله إلا الخير، فهو خير حافظًا

(١) [آل عمران: ١٧٥].

وهو أرحم الراحمين، وحتى لو كان الأبناء تحت يدي؛ فلا بد أن تغفل عيني عنهم ولو ثوانٍ؛ فيحصل لهم ما هو مقدر أن يحصل، قل: ليس هذا برودًا؛ إنّما الذين يعلمون عن الله هم أشرح الناس صدورًا، وأشفَاهم قلوبًا، لأنهم يتعاملون مع كتابهِ الذي هو شفاء لِما في الصُّدور.

سؤال: في المواقف أجد نفسي غير قادر على التوكل؛ بل ينفذ صبري بسرعة؛ فهل فعل التَّوكل والتَّفويض صعب بطبيعته، أم صعوبته ناتجة عن ثغرات عندنا؟

قبل أن أبدأ بالجواب أقول: أولًا يجب أن تعلم متى تحتاج الصبر، فمثلا قد يتأخر أولادك نصف ساعة؛ فيأتيك الشيطان بأنه حصل لهم كذا وكذا ، وأنت في كل لحظة تقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ربي حافظهم، أنا استودعتهم الحفيظ) إلى أن تصل إلى لحظة تَنفجر فيها، فتقوم إلى الجوال وتتصل، وفي هذه اللحظة وأنت تتصل يدقون الجرس! نجحت في البداية، ثم في آخر لحظة رَسبت! فتشعر أنك تستحي من نفسك وأنك لو صبرت هذه الدقيقة لكنت قد نجحت في الاختبار.

من هنا تعلم أنك لا تحتاج الصبر في أول البلاء، فأنت هادئ في أوله ، لكن تحتاج الصبر عندما تنْفُذ طاقتك التفكيرية الهادئة، عندما تخرج عن حالتك الطبيعية، وأنت في الحالة الطبيعة ذاك لا يسمى صبرًا، عندما يتأخر الوقت عن موعد رجوعهم هنا بدأت تحتاج الصبر، وهنا يبدأ الشيطان بالضغط عليك، ويبدأ بفتح باب الخيالات السيئة لك؛ فتُفكر متى سيأتي الناس يُعزّوني، وماذا سأفعل! نحن نَرى ونَسمع هذا الكلام حقيقةً، حتى المرأة حين تقلق على زوجها يكون في ذِهنِها تخطيط ماذا ستفعل لو مات، المهم أنه حين تبدأ مشاعر الخوف في قلبك لأن الوقت تأخر؛ فهنا تصبر وتبقى واعيًا أن الله مع الصابرين، يعني استوعب الآن أن الله مَعك؛ فَاطلُب منه السَّداد، واطلُب مِنه التَّوفيق والثَّبات في هذه اللَّحظات، لحظة نَفاذ صبرك ترجمها على أنها اختبار، **والصبر فيها هو عملية مدافعة سوء الظن بالله، والطَّلب من الله**، فما دمت خائفًا اطلب مِن الله حفظهم، واطلب رعايتهم، واطلب منه أن يوصلهم سالمين، عامِل الله باسم

الحفيظ ليحفظهم، وهو الذي يحفظهم على الحقيقة، لأنهم أحيانًا يكونون أمامك فيسقطون ويتأذون، و في المدرسة يسقطون ولا يتأذون، فمَن الذي حَفِظَ هنا ومَن الذي ابتلى هناك؟ ما ابتلاهم إلا الله وما حفظهم إلا الله، لكن بسبب نقص الإيمان يأتي ضعف التَّوكل.

قد تقول: الآن ألا يجب أن نأخذ بالأسباب؟ نقول: الآن حَالُك وَصل إلى حَد الوِسواس، ولو ترجمت الموقف سترى أن البلد مليئة بالازدحام؛ فلماذا تنتقل إلى هذا التفكير مباشرة؟

عندما تعرف كيف تترجم الموقف على أنه اختبار ستصبر وستهيّأ لك كُل الأسباب، والذي يزيدك صبرًا التوسل إلى الله ليصبرك، وهذا لا يعني ترك الأسباب، لكنك تعرف جيدًا أن هذا الاتصال الهاتفي أصلًا ليس أخذًا بالأسباب، فلو حصل لهم شيء، ماذا سيفعل اتصالك هذا؟! هل تريد أسباب حِفظَهم، أم أسباب الطمأنينة؟ اعلم أن أسباب الطمأنينة مِن عند الله، وأسباب حفظهم مِن عند الله!

في زمننا الأول ماذا كنا نفعل بدون اتصالات وجوالات ؟ نحن نعيش الآن على الجوالات ونشعر أنّنا نريد معرفة كل شيء حالًا!

افترض أن السائق الذي معهم ليس معه جوال، ماذا ستفعل؟ هل ستموت؟! أنت الذي تطحن نفسك، والشيطان يدفعك[1].

(١) أحيانًا مِن رحمة الله بِعبدِه وهو ما نُسمّيه نحن أحيانًا بـ "إحساس الأم" أنّ أولادك يكونون خارج المنزل سواءً في المدرسة أو غيرِها، فَيُلهِمك الله أن تَدعي لهم، فَيأتي الشَّيطان ويقول لك: لماذا تدعين لهم؟ عندما يقول لك كذا؛ اعلمي أن الإلهام الذي أتَاك بالدعاء لهم هو رزق من الله، لكي يَجعل دُعاءك سَببًا في حِفظهم، فهذا الموقف يَحتاج مِنك إصرارًا على الدعاء لهم، ومن المؤكد أن في ذاكرتكم ما يشهد لهذه المواقف، وكيف أنك دعوت لهم، وأتى بهم الله لك محفوظين.

حتى أن أمًا تقول: كنت أصلي صلاة الظهر فأُلقي في قلبي أن أدعي لابنتي بالحفظ بالرغم من أنها لم تتأخر، ودعوت لها، وبعد أن انتهيت من الصلاة دَخَلَتْ ابنتي، فرأيت وجهها مُصفَرًا، فسألتها: ما بك؟ قالت: ذهبتُ أوصل ابنة خالي لبيتها ونزلت؛ فأغلق المصعد بين الدورين، فبقيت أقفز أَقفِز إلى أن نزل إلى الدور الثاني!

أبدأ الآن بالجواب على السؤال: هل فعل التَّوكل والتَّفويض صعب بطبيعته، أم صعوبته ناتجة عن ثغرات عندنا؟

التوكل يحتاج معه إلى عامل مهم وهو زيادة الإيمان، يعني لَن تستطيع أن تستمر صابرًا، متوكلًا معتمدًا على الله، مُحسن الظَّن بهِ إلا إذا غَذَّيت نفسك بأسباب زيادة الإيمان، ولاحظوا أنّ السَّبعين ألفًا صِفتهُم الأساسية في كل الصِّفات هي قوة التَّوكل، متى سيكون هذا الوصف لهم؟ عندما يَكمُل إيمانهم، فالتَّوكل هذا يكون بِنفسهِ سببًا لزيادة الإيمان، ثم قوة التَّوكل مَبنية على قوة الإيمان.

بمعنى أن التوكل عبادة نأخذ أجرها، فكلما مَرّ على خاطرك ما يُهِمَّك وقلت: (وَكّلت الله عليه)؛ تكون مأجورًا بذلك وأنت في مكانك لم تُحرِّك ساكنًا، وكلما زاد الضَّغط عليك ازددت أنت توكلًا عليه؛ فارتفع أجرك، وحين يرتفع أجرك يزيد إيمانك؛ وحين يزيد إيمانك تزداد توكلًا، فأنت إذًا تحتاج لزيادة إيمان مِن أجل أن يأتي منك التوكل، وزيادة الإيمان لها أسباب كثيرة،

وأهمها على الإطلاق:

١- العلم بالله:

من أعظم أسباب زِيادة الإيمان العلم عن الله، تَعَلّم عن الله حتى تزيد ثقتك به، واستعمل الذي تتعلّمه في المواقف، فمِن رحمة الله بك أن يجعلك تَدخل في لقاءات تتكلم عن أسماء الله، وتسمع الكلام ثم تخرج وأنت تشعر أنك لم تتغير في شيء؛ ثم ما تلبث أن تأتي مواقف الشدة؛ فتقرأ ماتعلمته قراءة، وتستعيد ما يجب عليك فهمه استعادةً تعجز عنها فيما لو كنت حافظًا، فمن رحمتهِ أنه يسر لك السَّماع ثم تَكَفَّل بِحفظ ما سَمعتَهُ، وتَكفل أن يَنفعك بِه بالوَقت المناسِب؛ لذلك كل ما عليك الآن هو أن تفتح قلبك فقط، وتسمح للعلم أن ينساب ويتغلغل به؛ فإن هذا

انظر كيف ألهم الله الأم الدعاء؛ لتزداد قوة في التوكل عليه في المرات القادمة حين تتذكر أنّ ربها حين أراد حفظ ابنتها ألهمها الدعاء لها؛ فمن دَعا وتوكل على الله لم يخذله الله؛ وإلا فطفلة في الابتدائي كيف يأتي في بَالها أن تَقفز لتُنزل المصعد إلى أسفل؛ فتستطيع فتح الباب ثم الخروج منه؟! سبحان من يحفظ بفكرة!

العلم الشريف لا يقع في الآذان، ولا في الأوراق؛ بل يقع في القلوب، وحق له أن تُهيَّأ له القلوب؛ وإلا فلأي شيء ستهيأ؟!.

٢- **كَثرة الذَّكر**: كن دائمًا لِرَبك ذاكرًا، فكثرة الذِّكر سبَب من أَسباب زِيادة انتفاعك بالعلم عن الله، ومن ثم قوة اللجوء إليه والثقة به والتوكل عليه؛ لأن الثقة هذه كأنها حبات رمل توضع فوق بعضها قليلًا قليلًا - وليس مرة واحدة- ثم تسقى بالماء فتتماسك وتصبح قوية.

أنت الآن كأنك تَلُمّ شَعثَ نَفسِك، وتَلُمّ في قلبك الثَّقة بالله، وهذا لا يبنى مَرة واحدة، خصوصًا إذا نظرت إلى ما سلف مِن عمرك، ومِن جهلك عن الله، ومن معايشتك الحياة بتجاربك، والناس حولك يزهّدونك في الثقة به، ويقولون لك: (تَحَرّك، افعل شيئًا، لو كنت مكانك لم أجلس على الأرض)! والناس في بَث القَلق مَدارِس!

٣- **كثرة الطَّاعة**: لا تبخل على نفسك بصلاة ضحى، لا تبخل على نفسك بأن تسبّح وتُكبّر وتُهلّل، لا تَبخل عَلى نفسك بِسُنَن الصَّلاة، لا تبخل على نفسك بالوتر، لا تبخل على نفسك بالطاعات التي هي سبب لزيادة إيمانك، فكلما ازددت إيمانًا نَظف قَلبك، ولا تَبخل على نَفسك بأن تأتي بالعَامِل الآخر وهو تَرك المَعاصي، خصوصًا ما تستهين به من المعاصي، كمُصيبة الغيبة العَظيمة، ومُصيبة الكذِب، والاستهزاء والسخرية بالنَّاس، إلى آخر هذه المصائب المهلكة لِبناء الإيمان في القلب، فكل هذه العوامل المسببة لزيادة الإيمان تَجعَل ما تَسمَعه عن التَّوكل، وما تسمعه عن صِفات الرَّب يَثقُب قَلبَك؛ لأن ضعف الإيمان يجعل القَلب كالشيء المغلف.

سؤال: مِن أجل أن يزيد توكلك وطمأنينتك عليك أن تزداد إيمانًا، لكن قد يأتي الشيطان فيقول: أنت الآن لا تزداد إيمانًا إلا مِن أجل أن يزيد توكلك، وما تريد أن يزيد توكلك إلا مِن أجل أن يأتيك الذي تريده!

الجواب: نقول في الرَّد على ذلك: إن الله -عزَّ وجلَّ- أنشأ الحاجات مِن أجل أن يحصل منا الانكسار والذُّل، فجعل سبحانه الضعف في نفوس العباد لأجل أن يَردّهم إلى بابهِ، أنقص عليهم شيئًا مِن حاجاتهم لأجل أن يلجأوا إليه، أهم شيء أن تعبُد الله وأنت راضٍ عن فِعلهِ أعطاك أو لم يعطك، ومِن أجل ذلك يأتيك الاختبار: هل تستقيم على أمرهِ إن أعطاك وإن لم يُعطك؟ أم لا تستقيم إلا إن أعطاك؟ اسأل الله أن يثبتك في الحالين، والشيطان له حيل حتى على الصِّغار، **وإليك بعض الأمثلة على حيله:**

- امرأة كبيرة تقول: وأنا طالبة في المرحلة الابتدائية كُنت أفعل المعاصي ثم وَقعت لي مصيبة، فقررت أن أصلي، ثم قلت لنفسي: الآن حين احتجت ستصلين؟!، فتركت ما عزمت عليه من الصلاة، ولما درست في كتاب التوحيد أنّ الكفار المعاصرين أشد كفرًا مِن كفار قريش؛ لأن كفار قريش كانوا يوحّدون الله في الشدّة، لكن الكفار المعاصرين لا يوحدون الله لا في الشدة و لا في الرخاء، حينها تَنبَّهت إلى أن الشَّيطان يَلعب بي قائلًا: (استحي مِن الله كيف لا تطلبينه في الرخاء وتطلبينه الآن في الشدَّة)؟!

إن أخبرك الشيطان يومًا بهذا؛ فليكن جوابك لنفسك جاهزا: الله يوقع علينا الشّدة من أجل أن نعود إليه، ونذوق طعم الصلة به، ثم عندما يُعطينا حاجتنا تزداد ثقتنا به.

* قد يأتيك الشيطان يخبرك أنك لا تريد الاستقامة الآن إلا لأنك قد اقتربت من الموت، فقل لنفسك: الحمد لله أن جعلني أستقيم في آخر حياتي ولا أموت قبل ذلك، وقل لها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ –عزَّ وجلَّ- بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَّلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ)) قِيلَ: وَمَا عَسَّلُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ؟ قَالَ: ((يُفْتَحُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ))[1] يعني وفّقه في آخر عُمرهِ إلى العمل الصالح، و"عسَّله" هذه يمكن أن تأتي في آخر عشر سنين من الحياة، وليس شرطًا أن تكون

(١) صحيح ابن حبان وصححه الألباني.

في آخر يوم منها، وأنت على كل حال ستموت ستموت، ومِن التَّوفيق أن يستقيم العبد كُلما كَبر في السّن، لأنكم ترون بأعينكم أناسًا يكبرون في السن وينتكسون، وهذا إنما مِن الخُذلان، فمِن الرَّحمة والعطاء أن يجعلك الله-عزَّ وجلَّ- تتقدم في العمر وتتقدم في الطاعة، ومِن الطبيعي أن الإنسان عندما يكبر يزداد طاعةً.

* شخص يهُمّه أمر ما، كصلاح أبنائه، أو له بيت أو معهد أو عمل يريد أن يقوم به، ويشعر أن الأعداء محيطون به، يعني حَوله مِن النَّقائص الشيء الكثير، وهو كلما تذكّر فَوَّض أمره إلى الله أن يَرد عنه وأن يأتي له بالمصالح؛ فيأتيه الشيطان ويقول له: (كفى، لا تتعب نفسك، لا تفكر في الموضوع) ونحن قُلنا إن الشيء الذي يخيفنا دائمًا يُذكّرنا الشيطان بهِ، فلمَّا وَجَد الشيطان أن تذكيره له به سيأتي بعبادة التَّفويض؛ أصبح يَلعب معه الدَّور الثاني؛ فيقول له: (لا تتعب نفسك، لا تفكر في الموضوع)! كلا لا تطعه؛ بل ادعُ وتوكل كلما تذكرت مايخيفك، فهذه عبادة.

* يُذكّرك الشيطان بنقائص نقصت عليك، كموت أحد أبنائك على سبيل المثال، يُريد بذلك أن يَقع في قلبك عَدم الرِّضا عن الله، فماذا تفعل؟

عامِل تَذَكُّرك للنَّقص بأن تصبر وترضى عن الله، وتقول: ما أوردهُ الله عليَّ إلا رفعةً لمنزلتي، ومِن فضل الله أنك عندما تُعيد نفس العبادة مرة أخرى؛ يعطيك الأجر مرة أخرى؛ بل لو تَذكَّر العبد مصيبة حَصلت له منذ زمن؛ فعامَلَها بالصبر والرضا عن الله، كُتِب له الأجر كأنّ هذه المصيبة وقعت الآن وصَبَرَ عليها، فهذا مِن فضله - سبحانه وتعالى- وهذا كلهُ إغاظةً للعدو، ومِنَّة من الله أنه يساعدك على الثَّبات في الصبر، واعلم أنك إن بقيت تصبر، وتحتسب، وترضى عن الله كلما ذكرك الشيطان بالنقص، وإن بقيت تذكر نفسك أنه لا يأتي من الله إلا الخير؛ فسيهجُر الشيطان تذكيرك بهذا النقص؛ لأنه يرى أنك حولت هذا المؤلم إلى موطن من مواطن الأجر، وهو من شدة عداوته يبغض لك هذا؛ ولهذا كلما تذكرت المصيبة لا تعاملها بالبكاء والحزن؛ بل عامِلها بالصبر والرضا عن الله، خصوصًا أنه مَرَّت عليك فترة تساعدك على الصبر والرضا عن الله، ولا تكن من

الضعف مثل أولئك الذين كلما تذكّروا ما يحزنهم يبكون من جديد، ويحزنون ويأتيهم الاكتئاب، رغم مرور الوقت الطويل على مصيبتهم، وهذا من من الشيطان {لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا}.

سؤال: متى يصبح التوكل سجية عندي؟

الجواب: بعد أن يزيد إيمانك، وبعد أن تجاهد نفسك!

زيادة الإيمان تحتاج إلى بذل جهد، - وقِس هذا على مسألة الصَّلاة، وما تحتاجه من جهاد؛ لأن الصلاة هي التَّعبير الأعلى عن عَمل القلب الأعلى- ولتعلم أنك ستجد نفسك في كل ثغرة كأنك تفعل هذا الفعل لأول مرة، ولنضرب مثالًا على ذلك:

امرأة زوجها سهل في التعامل، ومشكلتها دائمًا مع أولادها؛ فتستعين بالله على تربيتهم، وتدعو الله أن يهديهم، ويشرح صدورهم، وتشعر أنها حققت التوكل فيهم، وتنتهي من هذه الثغرة، ثم لا تلبث أن تفتح عليها ثغرة من ناحية زوجها الذي كانت مطمئنة على طريقة تعاملها معه، فتجد نفسها وكأنها لأول مرة تستعين وتتوكل وتثق؛ لأنه شيء جديد وصورة جديدة.

مثال آخر: هناك شخصيات تَستَفزَّك لدرجة التفكير بقطع علاقتك بهم، وحين تريد نصحهم تشعر أول الأمر أنك غير قادر أن تنصحهم بصدق، بعد أن كنت طوال عمرك تنصح وأنت صادق، لكن هذا الشخص مِن كثرة ما تسبب في غيظك أصبحت نيتك مختلطة: هل أنت فعلًا تريده أن يَصْلُح، أم تريد أن تُخْرِج الذي في نفسك عن طريق هذه النصيحة؟ فتقول: (أشعر وكأني لأول مرة أجمع قلبي على النَّصيحة)! نقول: نعم، لأن الذي عُرِضَ عليك فِتنَة جديدة، فكأنك مِن جديد تَأتي تَجمع قلبك وتَنتَفع بما تعلّمته، ثم تضعف وتقوى على حسب قوة وضعف إيمانك.

نحن للأسف عندنا قاعدة "أتْعِب بَدَنك ولا تُتعِب قلبك" دائمًا نريد القلب مرتاحًا ساكنًا، مع أن البلاء على قلبك: ((إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ

كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))[1] والشيطان يُثَبِّت فينا أن قلوبنا هذه لابد أن ترتاح، لا، الراحة ليست هنا، اعلم أن الراحة لا تأتي إلا حين يُبَشَّر العبد بالجنَّة.

سؤال: قد تقول: هو -عزَّوجلَّ- وكيلي وقد وَكَّلته، ومع ذلك يأتيني في مواطن ما لا أرغبه!

الجواب: أنت في البداية تظن أنك لا ترغبه، لكن إذا استسلمت لله ورضيت عنه، كشَفَ لَك ما يُثَبِّتَك على رِضاك، لأن العَبد جاهل بما يُصلح نَفسه، وهذا مثال لتعاملنا مع أبنائنا يوضح ذلك:

ألسنا نُدَبَّر لأبنائنا ما نَرى فيه صلاحهم؟ هل كل ما نرى أنه لمصلحتهم يناسب آراءهم وأفكارهم؟ كلكم تتفقون أن (لا)، وقد يأتي قرار تكون المصلحة فيه كلها لهم ونحن متضررون منه ومع ذلك يَنزل عليهم هذا القَرار نزول الصَّاعِقة، ويَردّونه ويَدفَعونه بِكل ما يَملِكون مِن قُوة، ونحن ننظر إليهم متعجبين من جهلهم بمصالحهم، ومن انفعالهم وعدم رضاهم عنا، فما بالهم يدفعون ما ينفعهم، ولا يرون فيه ما نرى لهم من الخير؟!

ستقولون: (لقصور عقولهم، غدًا يكبرون ويفهمون).

الرَّب- سبحانه وتعالى- كامل الصفات يُعاملك بنفس الصورة، وقد وَضَعَ تَحتَك سفهاء- يعني أنت الكبير وهُم صِغار سُفهاء- مِن أجل أن تفهم نفس الصورة، من أجل أن تفهم أنه لَمَّا تأتيك أفعال الله لابد أن تؤمن أنه حكيم، ثم تَتَرَيّث وتَنتظر، لأنه لا يمكن أن يأتي مِن عند الله إلا الخير، و((من رضِيَ فَلَهُ الرضا، ومن سَخِط فَلَهُ السِّخَط))[2]. وسَخَط الله -عزَّ وجلَّ- حين ينزل على أحد يجعله يَنقَلب، فكل ما يكون خيرًا يصبح في تصوّره شرًا.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الإيمان / باب فضل من استبرأ لدينه / حديث رقم ٥٢، ومسلم في المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات رقم ١٥٩٩.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه وقال الألباني حسن.

إذًا لو وَكَّلَ العبد ربه لابد أن تقع في قلبه الثقة، لأن الله-عزَّ وجلَّ- موصوف بالكمال، فلا يأتي منه إلا كل خير، لكن نُفوسنا هي التي فيها أمراض وتحتاج إلى علاج، وأحيانًا لا تُشفى إلا بِمِشرَط، لا تشفى إلا إذا أتاها مِن الأقدار ما يؤلمها؛ فيخرج منها المرض، وها أنت تذهب أحيانا إلى الطبيب حاملًا له ابنك أغلى ما عندك؛ ليشق بطنه بيديه، وتحت علمك، وبإمضاء يدك، وأنت ممتن له، لا يأتيك شعور أنه سيفعل ذلك ليهلكه، ولا يأتيك شعور أنك ستهلكه؛ بل تعلم أنك لا تريد إلا مصلحته حتى لو كانت هذه المصلحة تحتاج إلى مشرط، فأين أنت من هذه المشاعر في معاملة الله الذي أعلمك بنفسه أنه أرحم الراحمين بك، وأعلمك رسوله أنه أرحم بك من أمك، وأعلمك أنه أعلم بخيرك وأقدر على إيصاله إليك من نفسك؟!

<u>سؤال:</u> استخرت في الزواج واختار الله لي أن أتزوج، ثم فشل زواجي، فكيف أفسر عدم صرف هذا الشرعني بعد الاستخارة؟

الجواب: هذه المسألة ينظر لها مِن زاويتين:

- الأولى: أنك رُبَّما عَزَمت وأصررت، ثم استخرت مِن باب تكميل الصورة فقط، أي أنك قد قررت وأنهيت الأمر، واستخرت فقط مجرد تحصيل حاصل.
- الثانية: أو أنك كنت حاضر القلب في الاستخارة غير مُقرّرٍ إلا بعد أن تستخير، فهنا يكون هذا لك امتحانًا، وهو لمصلحتك.

<u>مثال:</u> الشريعة تحكم على الذي طلّق زوجته ثلاثًا أنها لا تحل له من بعد حتى تتزوج غيره، ثم تُطلق منه على المنهج الشرعي، لماذا تأمر الشريعة بمثل هذا؟ لأنها ربما لم تكن لتحتمل زوجها الأول وصفاته إلا عندما تتزوج غيرهُ وتتأدب، فتعود للأول وتَعمُر حياتها، وهو أيضًا ربما لا يُؤدّبهُ إلا أن يَعْلَم أن زوجته قادرة على أن تتزوج غيره وتذهب.

فهناك أناس لا يُؤدّبهم ولا يعدّل نفسياتهم إلا دخولهم في تجربة، فهذا استخار الله وطلب منه؛ فأدخله الله هذه التجربة تأديبًا له، تعديلًا لشيء في نفسهِ، وربما رفعةً لدرجتهِ، فهذه مِن الحِكَم الأخرى.

سؤال: قد يواجهنا إشكال وهو أننا نرى صنفا من الناس ناجحًا بلا توكل، لا يتكلم عن التوكل ولا يعرفه، ومع ذلك يخطط وينجح؟

الجواب: حين يرحم الله – سبحانه- عبدًا؛ يكرمه بالعلم عنه، ويؤدّبه حين يبتعد عما علَّمه، أما هؤلاء القوم فُيعامِلهم الله بحلمهِ، يخطّطون؛ فَيوجِد لهم تخطيطهم، يُرتبون؛ فتنجح ترتيباتهم، فالمفترض أن يزدادوا تعلقًا بربهم حمدًا وشكرًا، ولكن الحاصل أنهم يغترون، و يزدادون انتفاخًا بأنفسهم، ويُعامِلهم الله بحلمه، ثم يخذلهم في مواقف؛ فلا يتنبهون؛ بل يقول لك أحدهم: (أنا خسرت هذه الصفقة لأني لم أعطها كل تفكيري)؛ فتجده لازال دائرًا حول نفسه، إلى أن تأتيه قاصمة وينتهي موضوعه، فيأتي يوم القيامة يُسأل: {يا أيها الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}[1]، يعني عندما عاملك الله بكرمه وأعطاك وأعطاك؛ لماذا اغتررت؟!

نسأل الله تعالى أن يرزقنا صدق التوكل عليه، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) [الانفطار:٦].